

رى الفتيوم

كَمَا وَصَفَهُ التَّابِلِسَى سَكِينَةُ ٦٤٢ هِجْرِيَّة

وَمَعَ مَذْكِرَة

عَنْ رِى الْفَتِيَوْمِ الْحَالِي . وَعَنْ عَجْزَةِ مَوْرِس

تَالِيفُ

عَلَى شَافِعِ بَلِكْ

مَفْتَش رِى

الْفَتْحُ الْوَعْدُ

مَطْبَعَةُ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ

٤٠ شارع موزافكا (ساحل شارع الدواوين)

١٩٤٠

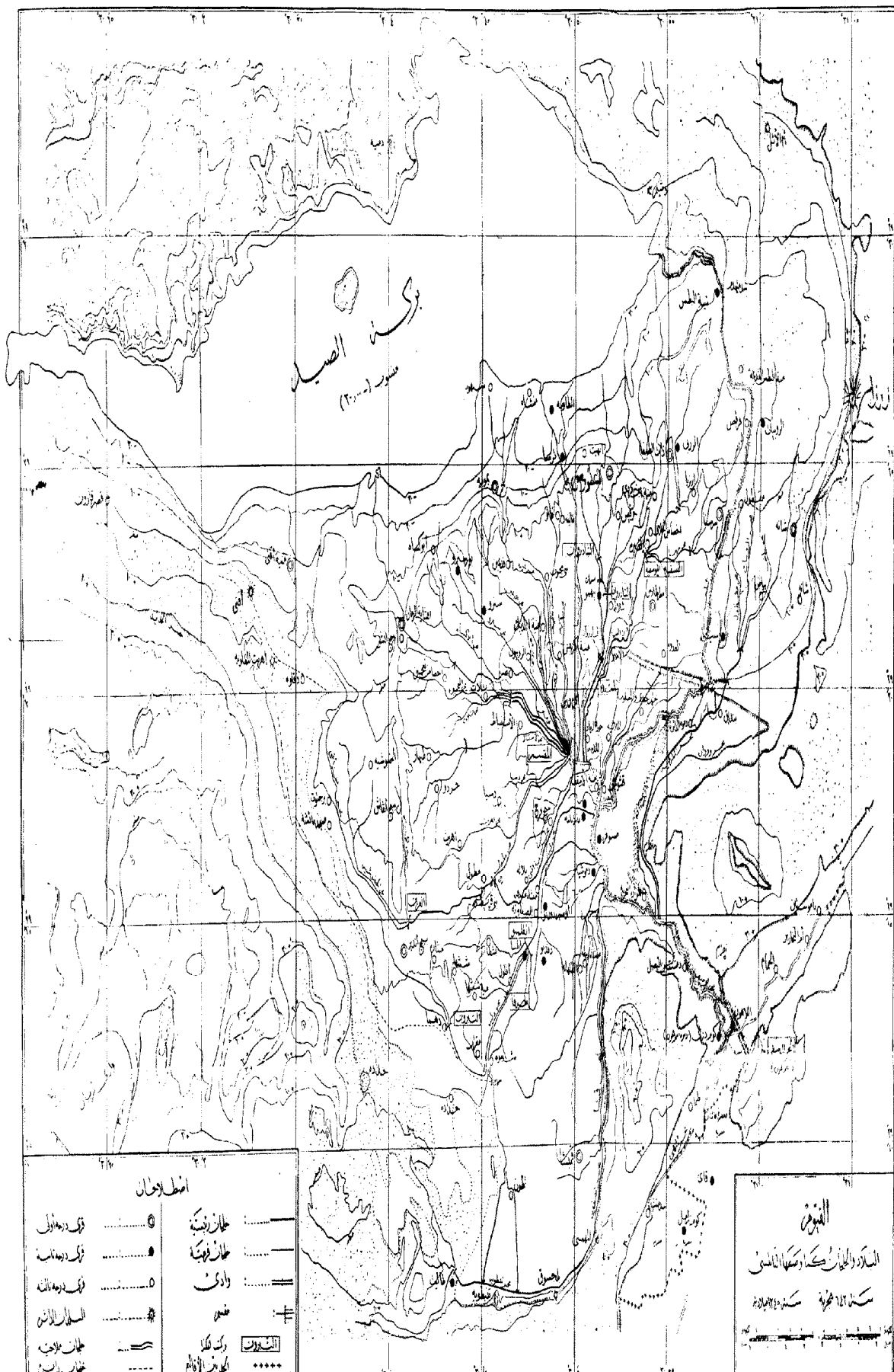
فهرس

١ — الموضوعات

صفحة	
٥	مقدمة : نظام رى الفيوم فى عهد الدولة الأيوبية سنة ٦٤٢ هجرية
٨	وصف عام لنظام الرى الحالى
١٩	وصف عام لنظام الرى بالفيوم سنة ٦٤٢ هجرية
٢٢	بحر يوسف
٢٥	الترع الرئيسية
٢٨	القناطر والمقاسم المهمة
٣٦	هويس الجنونة
٣٨	بركة الصيد
٤٠	مواقع البلدان
٤٣	الزمام
٤٧	الحاصيل الزراعية
٤٩	بحيرة موريس وبحيرة قارون
٦٠	الضرائب
٦٢	السكان
٦٣	فهرس المراجع

ب — الخرائط والصور الفوتوغرافية

٥	خريطة الفيوم : البلاد والخلجان كما وصفها النابلسى . . . أمام صفحة
٣٨	صورة من خريطة فك الزمام ، موضع بها شاطئ بحيرة قارون فى القرن السابع الهجرى وقطاعات عرضية على جسر الحديد فى موقع الطارمة) « «
٤٩	خريطة تاريخ بحيرة قارون . . . « «
٥٠	قطاعات عرضية على موردة شحن أحجار الدولريت جهة قصر الصاغة « «
٥١	صورة معبد قصر الصاغة . . . « «
٥١	صورة موردة أحجار الدولريت غرب قصر الصاغة . . . « «
٥٢	مسقط أوتى الجسر على شكل « ل » . . . « «
٥٢	صورة جسر أمام معبد قصر الصاغة به جزء من تكية بالدش على الناشف « «
٥٢	صورة الطريق المرصوف بين محاجر الدولريت والموردة . . . « «
٥٦	جسور رى حوض ديميه الغربى « «



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نظام رى الفيوم في عهد الدولة الايوبية

سنة ٦٤٢ هجرية

عند ما تصفحت كتاب تاريخ الفيوم للنابلسي لم أكن أتوقع ما ظهر لى فيما بعد أننى أمام كتاب يصف نظام رى الفيوم في ذلك العهد وصفا دقيقا . وأعرب من ذلك ما ظهر لى من أن نظام الرى في ذلك العهد يماثل — ان لم يفضل في بعض النقط — نظام الرى الحالى . فكل قرية كان لها خليج خاص بها ومقسمها — وهو ما نسميه اليوم نصبتها — مقيس بما يعادل أقل من المليمتر . وكانت المراكب تجرى من النيل في ترعة المجنونة الى اللاهون ؛ وهناك تمر من فتحة عميقة في الجدار اليوسفى الى بحر يوسف ، ومنه الى الفيوم ؛ لأن قنطرتى اللاهون الحاليتين لم تكونا موجودتين .

وفي تلك الأيام كانت بحيرة قارون احدى عجائب الدنيا . وقد كان منسوبها ثلاثين مترا تحت الصفر كما تحققت ذلك بنفسى وأوضحته في صفحات هذا الكتيب . وكانت مياهها بدرجة من العذوبة تسمح

بتوالد أغلب الأسماك النيلية بها ، وسماك البلطى (هكذا ورد اسمه) ،
وكان يباع في القاهرة تحمله الدواب . وفي زمن الفيضان كانت تهاجر
الأسماك صاعدة في الخلجان من البحيرة الى بحر يوسف بكميات عظيمة
حيث يصطادونها عند المقاسم والقناطر ، فيباع بأثمان بخسة حتى انه كان
يباع القنطار منه بثمانية دراهم ونصف .

وكان يزرع القطن في مساحات محدودة ، في حين يظن بعضهم
أن زراعته حديثة . وكان قصب السكر يزرع على نطاق واسع ويعصر
في طواحين الهدير بالفيوم ، حيث كانت تحتكر الحكومة صناعة السكر
وتبيعه في أوروبا بأثمان مرتفعة لأن أمريكا لم تكن قد اكتشفت .
وكانت البساتين كثيرة الثمر حتى شبه النابلسى قرية الاخصاص ببساتين
دمشق .

ومهندسو الرى الذين اشتغلوا بالفيوم سيدهشون عند ما يقرءون
في هذه الرسالة أن قطرة اللاهون القديمة بنيت بعد سنة ٦٤٢ هجرية ،
وأن مصرف الوادى الكبير لم يكن موجودا ، وأنه لم يكن بالمديرية
مصارف ، وأنه نظرا لأن الزراعة الصيفية لم تكن لتزيد عن عشر
الزمام المزرع فقد انخفض المستوى المائى ولم تتلف الأرض . والأراضى
التي كانت بسواحل بحر يوسف كانت تروى طول السنة ريا شتويا
وصيفيا بالسواقي منذ البطالسة كما هو ثابت من أوراق البردى الى
الآن — ومع ذلك لم تفقد خصوبتها ، الشيء الذى يبرهن على أن

نظام الري الصيفي اذا أنشئت به المصارف العميقة وسدت الأرض
بسماد المواشي يحفظ خصوبة الأرض ولا يضرها ، ولكن من جهة
أخرى قد لاحظ النابلسي على سكان الفيوم ضعف صحتهم واصفرار
لونهم ، وهو ما يجب أن تحذره كل أمة تقدم على توسع في الري
الصيفي وأن تعالجه بالطرق العلمية .

وكانت الضرائب فادحة أبلأت كثيرا من السكان الى الهرب —
حتى النساء كانت ملزمة بتربية عدد كبير من الدجاج للمطابخ السلطانية ..



وصف عام لنظام الري الحالى

الرى :

تروى الفيوم الآن ربا مستديما ، اذ أنها داخله ضمن منطقة التربة الابراهيمية .

وترعة الابراهيمية — وطولها ٢٩٥ كيلو مترا — تعتبر أطول ترعة صناعية في العالم . وقد أنشئت بحسب تصميم المهندس المصرى العظيم بهجت باشا في سنة ١٨٦٧ ميلادية ، الموافقة لسنة ١٢٨٤ هجرية . وتتغذى الآن من أمام قناطر أسيوط . وبعد ٦٠ كيلو مترا منها — أى عند قناطر ديروط — يتفرع منها بحر يوسف ؛ وهو فرع طيعى للنيل ، ويسير بالقرب من الصحراء الغربية حتى اللاهون ، وهناك يدخل الفيوم وينتهى عند مدينة الفيوم .

وعند اللاهون توجد قنطرة قديمة غير مستعملة . بنيت هذه القنطرة بعد سنة ٦٤٢ هجرية كما سنبينه فيما بعد .

والقنطرة الجديدة بنيت أمام القديمة في حكم محمد على باشا ؛ بناها لينان دى بلفون باشا سنة ١٨١٩ بعد حدوث قطع خطير بجسر بحر لينان دى بلفون باشا بعد حدوث قطع خطير بجسر بحر يوسف الأيمن على بعد كيلو مترين غرب مساكن هواره المقطع . وقد تعذر اقفال بوابات القنطرة من شدة اندفاع المياه ؛ ولم يمكن سد القطع الا زمن التعاريق عند انخفاض المياه — وهذا القطع من أعظم القطوع

حيث يبلغ طوله ٥٠٠ متر ؛ ولا زالت ييارته للآن أوطى من أرض
الزراعة بثمانية أمتار . ويحسن بمهندسى الرى أن يعاينوا هذا القطع حتى
يحتسروا عند ما توكل اليهم أعمال الفيضان .

وقد توسعت في وصف ذلك القطع لاثبت أنه حتى في حكم والى
مصر العظيم — مع وجود مهندسه الفرنسى المقتدر — قد تعذر منع
حصول قطع عظيم بالفيوم ، وتعذر سده في الفيضان ، ولم يمكن سده
الا في الصيف بمجهود كبير .

ولنعد الآن لهوارة المقطع ، فهى فضلا عن شهرتها بالقطوع التى
حدثت عندها فهى قد اشتهرت بالحاجز الحجرى الواقع بقاع بحر
يوسف أمام هواراة . وأول من استلفت النظر اليه لينان باشا في
مذكرته عن بحيرة موريس . وأول من حقق مناسيبه السير همبرى
برون فوجدها ٢١٠٠٠ مترا فوق الصفر . وقد قت بتحقيق مناسيبها
بنفسى فوجدت أوطى نقطة بها ٢١٠٥٤ من المتر .

وهذا الحاجز الحجرى في نظر السير همبرى برون ، ومن قبله لينان
باشا ، يمنع صرف بحيرة موريس الى أوطى من هذا المنسوب . ولما كانت
قاعدتا تمثالى بيهمو عند منسوب ١٧٥٠ من المتر فوق الصفر ، فان
ناكرى وجود بحيرة موريس قد وجدوا في ذلك ما يبرر دعواهم . غير
أن جدالا بين المس جاردنر والمستر ساندفورد عن طريقة تكوين
منخفض الفيوم قد نتج عنه قيام مصلحة الرى بعمل جسات بمدخل
مديرية الفيوم عند هواراة ثبت منها أن الحجرى قد نحرته المياه الداخلة

من النيل الى الفيوم الى ١٧٤٠ من المتر تحت الصفر ؛ وليس هناك ما يحتم مرور بحر يوسف في مجراه الحالى فوق قاعه الجبرى أيام وجود بحيرة موديس . وتقع هواره المقطع في منتصف المسافة بين اللاهون ومدينة الفيوم وعلى بعد ١٢ كيلو مترا من كليهما .

والأفرع الرئيسية الآخذة من بحر يوسف هي : —

بحر وردان : يأخذ من أمام قناطر هواره ويمر في حدود الصحراء .

بحر الفرق وبحر النزلة : وكلاهما كان يتغذى من البحر قبل انشاء بحر حسن واصف الذى يغذيها الآن ؛ وبحر الفرق يتأخم الصحراء جنوب المديرية ؛ وبحر النزلة به خلف الفم سقوط ستة أمتار ونصف يدار به ترين لانارة مدينة الفيوم وتغذيتها — وبعض بلاد أخرى — بالمياه العذبة . ومعظم الفروع الأخرى تأخذ من نهاية بحر يوسف عند المقاسم وتتفرع كأصابع اليد مما يجعل للمدينة موقعا ممتازا كعاصمة للمديرية . وكل ترعة الآن لها مقسمها خلف الفم حيث توزع المياه بدقة .

وتوزيع المياه بالترع بواسطة المقاسم (النصب) حيث أعصاب الفتحات على منسوب واحد . أما عرضها فنسبة الزمام الذى يتغذى منها ؛ والمقاسم توزع المياه بدون تداخل خارجى وتوزعها بالعدل خصوصا بعد المعلومات التى حصلنا عليها بعمل قناطر الدلتا الأيدروليكي .

وعلى القارىء الذى يريد التوسع في هذا الموضوع أن يرجع الى تقرير جناب المستر بوتشر عن الأعتاب الحرة .

وفي أحباس الترع — حيث الانحدار قليل ، ولا يوجد سقوط يقام عليه مقسم ، مثل بحر وردان بين مقسم نجيب ومقسم أم القتل ، وهى مسافة ٢١ كيلو مترا ، لا يزيد انحدار المياه عن ٥ سنتيمترات في الكيلو متر — يكون التوزيع غير مضبوط كلما تغير قطاع البحر سواء برسوب الطمي أو سقوط الرمال التى تحملها الرياح من الصحراء وقد حاول مفتشو الرى علاج سوء التوزيع بذلك الجبس بطرق شتى وفي رأيى كان أحسنها بناء أعتاب الفتحات موازية لحط مياه الصيف لتعطى توزيعا عادلا عند ما تشح المياه ، ويكون لها قيمة . غير أن الترعة — كما قلت — مجاورة للصحراء وعرضة لسنى الرمال ، فلا تلبث أن يضيق قطاعها ، ويزداد انحدارها . وفي اعتقادى أن متاعب هذا الجبس قد انتهت الآن بعمل جنايات تضبط أسماك المياه خلف أفهامها ، وزراعة البوص بالبر الأيمن لينع سقوط سافى الرمال بالترعة

والمنطقة المرتفعة بالمديرية — وهى التى فوق منسوب ٢٢٥٠٠ مترا فوق الصفر — تروى بالراحة أيضا بواسطة سواقى الهدير المركبة على الترع فى أحباسها العليا

وكل زائر لمدينة الفيوم لا بد قد استلقت نظره صوت تلك السواقى ومنظرها غير المألوف فى باقى القطر . وأغلب مساقط المياه بالمديرية قد استثمر لإدارة طواحين للغلال .

وقد أجريت بنفسى تجارب على سواقي الهدير وطواحين الهدير ، فظهر
لى أن محصل الجودة فى الأولى لا يزيد عن ١٠ وفى الثانية ١٥ .
الشيء الذى دعانى للتفكير فى الاستعاضة عنها بالتربينات الصغيرة .
وفعلنا قننا بصناعة وتركيب تربين صغير من طراز فرانسيس باحدى
ورش مدينة الفيوم ؛ ونجحت التجربة ؛ وكان من دواعى فخرى أن
أذهب بكل زائر الى تلك المحطة الصغيرة التى بلغ محصل الجودة بها
٧٥ ٪ ، أى أنها تعمل خمسة أضعاف ما تقوم بعمله طاحونة مماثلة من
المستعمل الآن بالفيوم . وكان من اقتراحاتى أن ينشأ مكتب بالتفتيش
يقوم بتحويل الطواحين الحالية الى تربينات حديثة على نفقة من يريد
من الأهالى ، وأن يقوم الرى بصيانتها لحسابهم لمدة خمس سنوات حتى
توجد طبقة من الميكانيكيين الذين يتقنون هذا العمل . ولعل اليوم
الذى تنشأ فيه على تلك المحطات الصغيرة ذات القوة الرخيصة صناعات
محلية غير بعيد

ومشروع صرف الفرق الذى يصرف منخفضا من الأرض غير
متصل بالمصارف الحالية تبلغ مساحته ٢٠٠٠٠ فدان ، أنشئت له محطة
كهربائية يديرها تربين على مصرف الوادى حيث يوجد سقوط قدره
٢٥ مترا . ومياه الصرف سترفع بواسطة ثلاث طلببات مجموع رفعها
١٥ مترا الى مصرف الوادى .

وسعة الاعتاب الآن بالفيوم موحدة على ثلاثة أسماك : فحيث
يوجد فرق كبير بين مياه التربة والزراعة تعطى سعة متر لكل ثلاثة

آلاف فدان ؛ أما حيث الفرق متوسط فمتر لكل ألفي فدان ؛ وحيث الفرق بسيط فمتر لكل ألف فدان . وسلك المياه في الحالات الثلاث على الأعتاب هو ٠.٦٩ و ٠.٥٤ و ٠.٣٦ من المتر . وعند ما تكون هناك مساحة مرتفعة تعطى الفتحة تعويضا يقابل الفاقد من التصرف عند رى تلك المساحة . والأرض التي تروى بالسواقي لا تقل فتحتها عن ماسورة قطرها ١٠. حيث لا يصح إرهاق مواشى الفلاح المسكين . وسواقي المدير التي يديرها تيار المياه تعطى تصرفا في الصيف — حينما تكون المياه شحيحة — أكثر مما تعطيه زمن الفيضان ، لزيادة فرق التوازن عليها . ولا يحسن تشجيعها لأن أصحابها كثيرا ما يلجأون الى تبديد المياه والاخلال بتصرف التربة . وأصحاب طواحين المدير كثيرا ما يرفعون مناسيب المياه أمامها بوضع أحجار على أرصفتها لزيادة قوتها ؛ ولذلك قد خفضت مناسيب أرصفتها الى ٥٠. تحت منسوب عتب المقسم الأعلى . ولا يصح التصريح بطواحين على المصارف ؛ لأن أصحابها كثيرا ما يطلبون مياهها للرى وهم يطلبونها في الحقيقة لتنساب الى المصارف وتدير تلك الطواحين وتذهب الى بحيرة قارون .

وللاحتفاظ بالدرجة العالية في توزيع المياه بالفيوم يحسن اتباع القواعد الآتية : —

(١) يجب أن تأخذ الفتحات أقرب ما يمكن من المقسم . ويجب رفض طلبات نقل الفتحات ، أو جزء منها ، الى مواقع أبعد من مواقعها الحالية .

(٢) في المسافات الطويلة القليلة الانحدار — مثل القسم الثالث من بحر وردان السابق الإشارة اليه — يجب وضع قطع من الحشب بالسلك اللازم حتى يطهر البحر وتعود المناسيب التصميمية . وفي هذه المسافات الطويلة يحسن استعمال عرض متر لكل ٣٠٠٠ فدان ، حيث اختلاف الانحدار الناشئ من اختلاف التصرف يعطى تأثيراً أقل في التوزيع . والحقيقة أن الأعتاب الموحدة على سلك ٣٦ ر. من المتر لا تصلح بتاتا .

ولو أن تعديل تلك المسافات بالجنايات أكثر نفقة غير أنه أفضل الحلول .

(٣) يجب مراجعة دفتر مناسيب المياه في الصباح المبكر . ويجب أن يكون مقنن الرى بأى ترعة على مقاسها المختلفة واحداً من الفهم الى النهاية . فاذا وجد نقص في النهاية فلا شك من وجود مخالفة في الحبس الظاهر به النقص . وهذه يجب البحث عنها بسرعة بواسطة بحار المنطقة وازالتها بسرعة حتى لا يستفيد المخالف من مخالفته . ولما كانت الغرامة في القيوم كبيرة فإن مثل هذا العمل يضمن عدم تكراره .

(٤) وإلى وقت كتابة هذه الرسالة لم يكن يلتفت الى تعويض الفاقد في المساقى الطويلة أو الرملية . ومثل هذه السياسة يجب الاستمرار فيها لتلافي التذمر بين المزارعين الذين من دأبهم التحسر على ما يلاقيه جاره من التفضيل . والمعروف أن الأرض الرملية

والأرض ذات الموقع السيء قد اشتراها أصحابها بأثمان بخسة . ومع أنها تعطى محصولا أوفر لو زيدت مياهها غير أنه — للصالح وللاحتفاظ بهذا النظام البديع من توزيع المياه — يحسن الاستمرار على هذه السياسة .

الصرف :

أغلب مديرية الفيوم يصرف صرفا جيدا . وعند ما يتم مشروع صرف الفرق وتدور طلباته فلا يبقى الا القليل من الأرض بدون صرف . وبالفيوم مصارف أوطى من أرض الزراعة بما لا يقل عن ٢٥ مترا . والأرض صالحة جدا لزراعة الحقائق . ولا عجب فالفيوم معتبرة حسن مديرية لزراعة الحقائق بالقطر المصرى .

والمصارف تصب في بحيرة قارون . وهى بحيرة داخلية لا منفذ لها للبحر . وهذه البحيرة هى ما تبقى من بحيرة مورييس المشهورة . وكتب الدكتور شوينفورت مذكرة عن ملوحتها زعم فيها وجود شقوق تقاعما تسبب فيها الماء الى بعض المنخفضات بالصحراء اللوية ؛ والا فكيف نعلل ضياع الأملاح التى دخلتها منذ عهد البطالسة للآن — وهى مدة تزيد عن ألفى سنة . ومنذ خمس عشرة سنة درست هذا الموضوع وألقيت عنه محاضرة بجمعية المهندسين الملكية سنة ١٩٢٧ . فيحسن لمن يريد الاطلاع على هذا الموضوع الرجوع الى تلك المذكرة . وقد ترتب عن تلك الدراسة أن أصبح معلوما لدى مهندس الرى أن

البحيرة غير خاضعة الا لعاملى التبخر من سطحها والمياه النازلة بها .
وهذه يمكن حسابها بدقة ومعرفة ما تصل اليه البحيرة في ظروف
مختلفة . وكان مفتشو الرى يتبارون في تخفيض مناسيب البحيرة خوفا
من زيادتها وغرق الزراعة المجاورة لها حتى هدد هذا العمل مصائد
الأسماك بالبحيرة ، فبدلت الحال وأصبح منسوب البحيرة الآن أعلى
ما وصل اليه في الخمس عشرة سنة الأخيرة .

وانى أرى زيادة البحيرة مترين عن منسوبها الحالى وذلك لايفرق
سوى ألقى فدان من الأرض المزروعة . أما الباقي فأراضى حكومية بور
ولا يزيد ثمن الفدان منها في المتوسط عن ثلاثين جنيها ، أى أن هذا
العمل لا يكلف الحكومة سوى ٦٠٠٠٠ جنيه ، وهذا المبلغ لا يعادل
ما تستفيد مصائد الأسماك وحدها علاوة على زيادة الأرض المزروعة
بالمديرية ، وتحسين صرف الأراضى المحرومة من الصرف الآن ،
علاوة على توفير مياه الرى الداخلة في الفيوم .

والمنسوب المقترح سيكون أوطى بمقدار ١٣ مترا عما كانت عليه
أيام النابلسى ، وكان ذلك عهدا سعيدا للصيادين يوم كانت كلتهم
العليا ، فكانوا يطلقون كميات هائلة من المياه عن طريق البطس كما
سيجىء لك وصفه ، وكانت مصائد الأسماك في العهد الرومانى وعهد
البطالسة أحسن كثيرا .

وعند ما زارها هيرودوت سنة ٤٥٠ قبل المسيح — وكانت مصر
تحت حكم الفرس حينذاك — ذكر هيرودوت ما يجنيه دارا منها .

جنباً لجنب ، مع الجزية التى كانت تجبى من فينيقيا وليديا وفريجيا وغيرها ؛ فسبحان مغير الأحوال !

وفي سنة ١٩٣٣ وصل منسوب البحيرة الى أوطى ما عرف عنها ؛ فقد وصلت الى ٤٦٣٠ من المتر تحت الصفر . وانحط ما صيد منها من الأسماك سنة ١٩٢٩ الى أقل ما عرف ، أى الى ٥٠٠ طن ، ولولا ادخال زريعة الطوبار والبورى بها — وهى أسماك تعيش في المياه المالحة — لتقص السمك سنتى ١٩٣٢ — ١٩٣٦ الى أقل من ذلك كثيراً . وقد وصلنى خطاب من مصلحة مصائد الأسماك تذكر فيه أن اللفش لما ينقرض من البحيرة ولكنه في طريق الانقراض ؛ وكذلك البلطى السلطاني — ان لم تنقذه مصلحة الرى بزيادة المياه .

وكان واضحاً لى أن المسألة في غاية الأهمية لأنه في سنة مثل سنة ١٩٢٧ بلغ مجموع السمك الذى صيد من البحيرة خمسة آلاف طن ، يقابله خمسمائة طن في سنة ١٩٢٢ ؛ اذ كانت البحيرة فيها منحة وثن السمك الذى ضاع على البلد ١٨٠٠٠٠ جنيه بخلاف من تعطل عن العمل من الصيادين وبنائى المراكب وصانعى الشباك وتجار السمك — لذلك عملت على رفع منسوب البحيرة حتى أوصلته ساعة كتابة هذه المذكرة الى ٤٤٦٢ من المتر تحت الصفر ، ومع ذلك لم ينشأ ضرر للأراضى الواقعة على شاطئ البحيرة .

وقد زادت الأراضى التى زرعت بساتين نظراً لانخفاض أثمان

القطن . ولكي تشجع مصلحة الري هذه الزراعة الحديثة تعطى ضعف مقنن الري لتلك الحقائق .

ومساحة الأراضي التي تروى بالفيوم ٣٤٦٧٠٠ فدان ، منها ٦٠٠٠ فدان حقائق . ويصرف من هذا الزمام على مصارف عمومية ٢٧٠.٠٠٠ فدان . وكل سنة تنشأ مصارف جديدة للأراضي المحرومة من الصرف .

ومنخفض الفرق — ومساحته ٣٥٠٠٠ فدان — يزرع منه الآن ٩٠٠٠ فدان ؛ والباقي اما أراضي مسبخة واما مستنقعات أو صحراء . سيصرف منه ٢٠.٠٠٠ فدان الى مصرف الوادي كما سبق ذكره .

وصف عام لنظام الري بالفيوم

سنة ٦٤٢ هجرية (١٢٤٥ ميلادية)

ان وصفى لهذا النظام مأخوذ من كتاب أبى عثمان النابلسى
الصفدى فى كتابه « تاريخ الفيوم وبلاده » ، الذى وضعه عند ما كان
ناظرا للاقليم فى حكم السلطان الكامل محمد ، بن السلطان العادل
أبى بكر ، بن المؤيد نجم الدين أيوب . وضعه سنة ٦٤٢ هجرية الموافقة
لسنة ١٢٤٥ ميلادية .

وهذا المؤلف لم يكن مهندسا ولكنه رجل من رجال الدين
نخرج فى الأزهى كعلماء زمانه ؛ غير أنه كان يتوقد ذكاء . ومع أنه
كان صديقا حميما لحولى البحر — وهو ما يعادل الآن مفتش الري ،
والذى أعطاه كل البيانات الخاصة بالرى — غير أن الطريقة التى رتب
بها موضوعات الكتاب ، ووصفه بأسهاب للخلجان والقناطر والمحاصيل ،
تشهد له بالنبوغ .

وفى ذلك العهد كان بحر يوسف الخليج الرئيسى كما هو الآن ؛
وكان اقليم الفيوم يشمل قرى كوم الرمل وسدمت وطما والنواميس
والنخاير والحمام . وهذه البلاد التى تتبع الآن اقليم بنى سويف كانت
تروى ربا حوضيا ، كما كانت تروى اللاهون وهواره البحرية وكوم
درى ودمشقين . أما باقى الاقليم فكان يروى اما سيحا من الخلجان
واما برفع المياه على أعناق البقر أو بسواقي الهدير

ويقول النابلسي في كتابه (صفحة ١٤) ان معظم العلماء المعروفين كانوا مصريين لحاجتهم الى العلم لرى أرضهم في السنين المجدة . وكان المعروف أنه حتى لو انحط النيل الى ١٢ ذراعا فلا تشرق الأرض ؛ ولو زاد الى عشرين ذراعا لم يحصل خطر للبلاد . ولكن هذه العلوم قد ضاعت منذ ٢٥٠٠ سنة ولم يبق من أعمال هؤلاء العلماء بمصر سوى الفيوم ، فانه كانت لزمانه تروى في السنين التى يشح فيها النيل الى ١٢ ذراعا ، وكانت في أمن عند ما يزيد النيل الى عشرين ذراعا . وكان المعروف له أن هذين الرقين هما أوطى وأعلى ما يصل اليه النيل في عصره .

وكان بحر يوسف يأخذ مياهه من النيل في الفيضان ؛ أما في الشتاء وفى الصيف فكانت لا تدخله مياه النيل . وكل ما كان يصل الى الفيوم كان من مياه الرشح في تلك الفترة ؛ ولا تعطى تلك المياه الا للأراضى القوية الكثيرة السكان . وكان بحرى وردان وتنبطويه (الفرق) ردمهما سافي الرمال في أحباسهما السفلى . والمساحة التى كانا يرويانها كانت أقل من عهد البطالسة والرومان . وبنديق كانت في نهاية بحر وردان . أما قرى أم الأثل ووشيم وديمه ودار الضرب (قصر الصاغة) فكانت دائره . وبحر وردان القديم يمكن مشاهدته الآن بحالة لا بأس بها في عدة مواضع . وبحرى أطلال جرزا يمكن أن ترى بحر وردان القديم مجاورا لشاطئ بحيرة موديس وشاطئ آخر أعلى وأقدم منه

وبحر تنبطويه كان يروى لغاية تطون ومقران . ولا ذكر للفرق
التي يظهر أنها كانت أرضا مهملة ومستنقعات . ولكن النابلسي ذكر
بحر الفرق وأنه يغذى دقلوة ومسجد عائشة غرب الحبوشية « النزلة » ،
وكانت البلاد الآتية قد اندثرت على هذا النحو : —

اهربت ، وبرج توت ، واقنى ، وأم السباع ، وحداده . وكانت
هذه البلاد الدائرة عامرة زمن الرومان والبطالسة كما يفهم من أوراق
البردى التي وجدت بها عند ما كان الفلاحون يحملون أسماء يونانية .
وكانت أفروديت وديدمونه وهرقل وايزيدور يشتغلون بالحقول ويغننون
ويتغازلون ويتعبدون في معابد جاهلية مثل معبد قصر قارون الذي
لا يزال بحالة جيدة .

ومن الموضوعات الهامة التي أثارها أخيرا مهندسو الري موضوع
انحطاط الأرض التي تروى ريا مستديما . والقيوم مثال لأرض رويت
ريا مستديما لأكثر من ألفي سنة . وسواحل اليوسفي كانت ، بلاشك ،
تروى ريا مستديما حتى في عهد قدماء المصريين . والأرض ليست من
الدرجة الأولى ولكن يظهر أنه مع وجود صرف جيد ، وتسميد بسماد
المواشي ، فإن الأرض يمكن أن تحتفظ بخصوبتها .

وطهار التي كانت في عهد النابلسي جافة لا تجد في الصيف من
الماء ما يكفي لشرب سكانها (٨ — ١٢٩ — ٢٠) قد ظهرت بها الآن
نتائج ارتفاع المياه الجوفية ، وذلك منذ اعطاء البساتين كمية مضاعفة من
المياه ؛ وابتدأت مصلحة الري في انشاء مصارف بها .

بحر يوسف

كان مأخذه من النيل في الحد الجنوبي لأقليم الأشمونين أمام قرية ذروه سربام (ديروط) . وقاعه كان أعلى من مياه الصيف في النيل . ولم تكن تجرى به بعد الفيضان سوى مياه الرشح من الأراضى المجاورة .

ولمنع طمى المياه أمام الجدار اليوسفى باللاهون كانت تصرف المياه فوق عتب هذا الجدار الى النيل عن طريق خليج المجنونة ، وكان خليجا ملاحيا كما أوضحنا بمقدمة هذه الرسالة . وكان هذا الجدار ضروريا في تلك الأيام حيث لم يكن هناك تليفونات وتلغرافات مثل أيامنا ، فيعرف المهندس المياه التى ستصله ويرتب صرف الزائد منها . وبعد اللاهون يمر البحر في صميم الفيوم — ولو أن حدود الاقليم كانت عند سدمنت — الى أن يصل الى هواره المقطع — حيث كان للبحر قنطرة كبيرة تصرف المياه الزائدة وأخرى أصغر منها عند قشوش وكلاهما متصل بالبطس ومنه الى البحيرة . ونظرا لتلك المصببات لم يطم مجرى البحر ولم تكثر القطوع .

وقد ذكر النابلسى عدة محاولات لزيادة تصرف هذا البحر ، ولكنها لم تأت بفائدة بل بالعكس أتت بمضار . ويقول النابلسى عن

مهندسى اللاهون الذين أشاروا بعملها أنهم ، يعرفون بالمهندسين من أهل القرية المعروفة باللاهون ، وهى بقرب البناء المشار اليه . عادتهم أن يتولوا وضع القطعة المتقدم ذكرها في الباب الرابع ، ولذلك سموا مهندسين لا لعلم بالهندسة ولا عمل . .

وأول هذه الأخطاء هو تنظيف البحر (تطهيره) ، غير أن تصرفه لم يزد لأن الطمي ردمه كما كان ، ولم يستفيدوا سوى قطع الأشجار من شواطئه وتشويه منظره . والغريب في ذلك أن هذا الخطأ قد تكرر عدة مرار في أيامنا هذه ببحر شين بالوجه البحرى . ونصيحتى لكل من يريد تعديل مجرى طبيعى أن يقوم ما أمكن كما عمل بالبحر الصغير وببحر طناح .

وعلى القارىء الذى يريد زيادة في التوضيح أن يقرأ ما كتبه الدكتور انجلس (١٠٣/٢ — ١٠٤) فقد ذكر تجربة لتعديل منحنى حاد بأحد الأنهار ، وعمل منحنى أكثر انفراجا ، فعاد النهر ينحرف مجراه أكثر من ذى قبل حتى عاد الى مجراه الأصيل .

والمحاولة الثانية لزيادة تصرف البحر كانت رفع بناء عتب الجدار اليوسفى حتى تكثر المياه الداخلة الفيوم ، فرفعوه ذراعا ونصفا بذراع العمل ، فكانت النتيجة طمى قاع بحر يوسف أمام الجدار ، وتكوين جزيرة بمجرى البحر عند مدخله بالفيوم كانت تظهر في الصيف في شهر بشنس ، فاضطروا لتنظيفها بنفقات باهظة .

والمحاولة الثالثة لزيادة مياه البحر لم تكن أكثر نجاحا من السالفتين ،
فان حاكم الفيوم في ذلك العهد ، الأمير فخر الدين عثمان لم يئأس
وأخذ مهندسى اللاهون معه الى مأخذ البحر من النيل لمحاولة أخيرة
ناجحة ، فأشاروا عليه بحفر مأخذ آخر على بعد مائة قصبة بحرى المأخذ
الأصلى . وبعد جهد كبير تم العمل غير أن الماء الذى كان يدخل البحر
من مأخذه الأصلى كان يعود للنيل ثانية من المجرى الجديد . واستمر
ذلك حتى أنقذ الله الفيوم بطمى المجرى الجديد كما قال النابلسى . ولم يثن
ذلك همة مهندسى اللاهون فقد أشاروا على ذلك الحاكم باغراق بضع
مراكب كبيرة خلف مأخذ البحر من النيل ، فتحول التيار وتكونت
جزيرة تركت قاع البحر جافا مدة ثمانية شهور في السنة .

الترع الرئيسية

بحر يوسف كان ، ولا يزال ، الخليج الرئيسى الذى يحترق الاقليم وينتهى غرب مدينة الفيوم ، وكان بحر وردان يمر بحدود الصحراء من الشمال ، وبحر تنبطويه أو تنبطوه يمر بحدود الصحراء من الجنوب حتى يلتقى الخليجان بالبحيرة (بركة الصيد) .

وبحر تنبطوه كان ينتهى عند قصر قارون ، وبحر وردان كان ينتهى عند الشاطئ الشرقى للبحيرة . ولكن — كما يقول النابلسى — نظرا لاهمال تنظيف البحرين ، ولسفى الرمال ، لم تصل المياه في عهده الا لوسطيهما تاركة الصحراء مهيمنة على أطلال عدة مدن دائرة . وكان يأخذ من البر الأيسر لبحر يوسف ثلاثون خليجا ومن الأيمن ثمانية وعشرون خليجا ، وفي نهاية البحر كانت تتغذى خمسة خلجان . وكانت ، علاوة على تلك الفروع ، تتغذى ٢٤٢ ساقية كان يدور منها ١٢٠ والباقي متعطل ؛ وكانت تأخذ منه مستقانتان لشرب قريتين .

وكانت على تلك الخلجان ست معاصر لقصب السكر وطاحونتان للغلال — كلها تدار بالماء .

وكانت الخلج الأمهات بالبر الأيمن بالترتيب الآتى :

وردان ، الشرقية ، سنوفر ، طاميه ، العدو ، المصلوب ، الأعلام ، خور الرماد ، قشوش ، الملاليه ، ذات الصفا ، منية كريس

ونقاليفه ، بنى مجنون فديين ، سنرو ، الغربية (هذا الخليج ذكره
النايلسى عند ما تكلم عن رى أبو كساه فقال : « من خليج شركة
بييج انشو وابشابه الرمان وطهار وحردو ، . ولم يذكر له اسما) .

والخلج التى بالبر الأيسر كانت بالترتيب الآتى :

تبطويه ، أبو صير ، دليه ، غابه باجه ، منية اقنى ، بييج فرح ،
مطول ، اهريت ، دسيا ، الاستنباط ، ثلاث ، دلدلاله . والأخير
يروى العجمين وعنز

واذا استثنينا بحر منية اقنى فأنى لم أجد صعوبة في التعرف على تلك
البحور . والفضل في ذلك لخريطة لينان باشا التى اكتشفها حضرة
صاحب العزة كامل بك غالب بدار الكتب ، وطبع منها صوراً
بالألوان ، وأرسل واحدة منها لتفتيش رى الفيوم .

ولما كان بحر منية اقنى يأخذ مياهه من بحر يوسف ، فقد أدى ذلك
الى التأكد من عدم وجود مصرف الوادى الذى لم يذكره النايلسى مع
أنه ذكر المساقى والسواقي والبرك .

وحائط شدموه التى كانت لوقاية صلبة حوض الطيور لم تكن
موجودة لأن الحوض لم يكن قد أنشئ ؛ ولا بد أنه عمل بعد النايلسى
لأنه لم يذكره . وعند ما ذكر دفدنو والجعافرة وشدموه وتطون ذكر
أن ربهما مثل سائر البلاد بالفيوم ، ولم يقل انها تروى « رى الريف »
كما قال عن دمشق البصل وغيرها .

ويسلك مصرف الشحات تخطيط ترعة منية اقنى . وعند تقابله
بمدينة الفيوم يوجد شارع بها على امتداده . أما مأخذه فقد بنت عائلة
دلة منزلها بموقعه . وعند تقاطع مصرف الشحات بمصرف الوادى يوجد
مجرى يقابله (مصرف أبو عوض) مما يدل على أن مصرف الوادى قد
قطع البحر هناك . وقد تعبت كثيرا في معرفة كيف كانت يبيع انقاش
تروى من بحر منية اقنى ، غير أنه للآن يوجد حوض يسميه الزراع
العرين بجوار تل المعركة ، وهو موقع مقسم العرين الذى كان يتفرع
عنده بحر يبيع انقاش ؛ ولا زال يوجد بحر باسم العرين قريبا من
هذا الموقع .

وقد أرشدتنى مس جاردنر الى مجرى بحر تنبطويه شمال مدينة
ماضى . والىها يرجع الفضل في تخطيط هذا البحر في تلك الجهة (بعد
كتابة ذلك عدلت عن تخطيط بحر الفرق في مجراه القديم لاستحالة
وقايته في ذلك العهد الذى ردم فيه أغلب بحر وردان) .

القناطر والمقاسم المهمة

عند ما كتبت مذكراتي كنت أعتقد أن أهم عمل بنائي باللاهون هو القنطرة القديمة ؛ غير أنه قد ظهر خطأ هذا الفرض فإنه كان يوجد سد كبير يعترض الأرض الزراعية بين اللاهون وجبل أبوصير . وكان هذا السد — ويسمونه الحجر اليوسفي أو الجدار اليوسفي — يصرف ما يزيد عن حاجة الفيوم الى النيل عن طريق ترعة المجنونة الحالية . ويوجد وصف لهذا الجدار بالمقريزي نقلا عن دستور أبي اسحاق ابن جعفر المتوفى سنة ١٠٣١ ميلادية . وقد بحث بدون جدوى عن هذا الدستور ؛ وحاولت أن أعمل رسما لهذا الجدار من الأبعاد التي ذكرها المقريزي فلم أفلح لأخطاء ظاهرة في الوصف نتجت من أخطاء النساخ . ويكفي لوصفه أن نقول انه كان مبني بالآجر ومونة الجير مضافا اليها الزيت ، ويسمونها الصاروج . وكان يتجه من الشمال الى الجنوب ، وبه عدة كسرات حيث كان المعمارىون المتقدمون يعتقدون أن الجدار المستقيم أضعف من المنكسر . وعقب الجدار (قفته) ، مع مياه النهر عند ما يصل اثنتى عشرة ذراعا ، فلم تكن الميزانيات المنسوبة الى مياه البحر الملح معروفة في ذلك العهد . وكان بهذا الجدار ٤٠ ذراعا أوطى من باقى الجدار بمقدار أربع أذرع تسد باللش ؛ وكان بالجدار مسافة أخرى أقصر من السالفة وطولها ٢٠ ذراعا وعمقها ذراعان تسد بالبد .

وكان مجموع طول الجدار ٧٧٠ ذراعا ؛ وكان من ضمن الجدار قنطرة قديمة ذات عشر فتحات مبلطة بالحجر . والفرض من بناء هذا الجدار هو رد الماء حتى درجة اثنتى عشرة ذراعا الى الفيوم . وما زاد عن ذلك يصرف الى النيل من فوق عتبة . والقنطرة ذات العشر عيون بأبواب كانت غير صالحة للعمل في عهد المقریزی . وكان بحسب وصفه ، يمتد بين الجبلين وقطاعه كان أقل عرضا عند قته منه عند قاعدته ؛ وعرضه من فوق ثمانى عشرة ذراعا . وقيل بأن به منافس (براخ) من الزجاج الأزرق والسليمانى ؛ وكان معتبرا احدى عجائب الدنيا ، ومن الأبنية اللاحقة بالأهرام ومنارة الاسكندرية .

ووصف النابلسى له ليس بالدقة والتفصيل الذى ورد بدستور أبى اسحاق بن جعفر ؛ ولكن مع مرور مائتى سنة على المقریزی كان الجدار في عهد النابلسى موضع اعجابه ، ووصفه بأنه عمل هندسى عظيم ، وأن أحجاره كانت مربوطة بالحديد والرصاص ، وكان يعلو عن قاع المجرى خمس عشرة ذراعا . وقال النابلسى ان من المعروف بين بعض العقلاء وكبار السن بالتواتر أن المجرى أمام هذا الجدار كان مبلطا بالأحجار الضخمة المحكمة اللحامات ، وأنه كان يمر تحتها بربخان كبيران من الرصاص يخرج منهما على الدوام والاستمرار ماء غليظ بالرمل والطين جعلتا لتنظيف قعر البحر ، يخرج منهما كل ما يصل الى الموضع المبلط من الرسوب فيؤمن بذلك من أن يطمى هذا البحر ويصعب تنظيفه لأنه يتكون تحت الماء ، وأن هاتين الفوهتين قد انسدتا منذ

زمن بعيد غير معروف حتى ارتفع قاع المجرى الى سبع أذرع تحت عتب
الجدار . ولما كان الجدار أعلى من قاع البحر بمقدار خمس عشرة ذراعا
فان سطح الجدار يعلو عن عتبه بثان أذرع .

ولم يذكر النابلسي شيئا عن قنطرة اللاهون القديمة الحالية ، والتي
لا بد أن تكون بنيت بعد عهده . ونظرا لجهل مهندسى ذلك العصر
بفن تصميم وبناء القناطر كما نعرفه الآن فان عمر القناطر لم يكن
طويلا . غير أنى مندهش كيف أمكنهم بناء الجدار اليوسفي وصيانته
طول هذا الزمن ، وكيف اندثر هذا البناء وعي من الوجود كما محيت
اللابرنته ، مع أن المقرئى قال انه من الأعمال اللاحقة ببناء الأهرام
ومنارة الاسكندرية .

وذكر النابلسي (٨ — ١٦/١٥) أن المياه الداخلة للفيوم تمر من
مجرئين ضيقين أحدهما عرضه سبع أذرع والثانى خمس أذرع ؛ وسمك
الماء لا يزيد عن ذراعين . وهذا يعطينا قطاعا للماء قدره ١٣٥ متر
مربع . واذا فرضنا سرعة قدرها نصف متر في الثانية كان مكعب الماء
الداخل الفيوم في الصيف ٦٥ متر مكعب في الثانية ، أو ما يقرب من
نصف مليون متر مكعب في اليوم — وهذا ، بلا شك ، أقل تصرف
يدخل الفيوم . فان السير همبرى برون قدر ما يكسبه بحر يوسف من
الرشح في مدته بربع مليون متر مكعب من الماء في اليوم (٢ — ١١) ؛
وقد كانت بلا شك مناسب المياه أيام النابلسي أوطى لعدم وجود
قنطرتي اللاهون الحاليين .

وهذان المجرىان كانا يمران حول جزيرة نشأت أمام مدخل الفيوم
(٨ - ١/١٦ - ١٦) . وهذان المجرىان لا يمكن أن يكونا فتحتى
قنطرة لأنه يتعذر مرور المياه الكافية لتبخر بحيرة مرتفعة عند منسوب
٣٠ مترا تحت الصفر كالتى كانت موجودة في عهد النابلسى . فان
مساحتها ٤٦٤٧٧ من ملايين الأمتار المربعة . ولما كان التبخر مترين
في السنة فان هذه البحيرة تحتاج من المياه ٩٢٩ مليوناً من الأمتار
المكعبة من الماء لتعويض التبخر من سطحها .

ولما كان لا يوجد مصارف في الاقليم متصلة بالبحيرة سوى
البطس فان هذه المياه كانت تصل اليه من قنطرة ذات عشر فتحات
شرق هواره المقطع بالجسر الأيمن لا زالت موجودة ، وقنطرة
قشوش ، ونهايات الأبحر ، ولاسيما بحر بنى مجنون الذى ذكر المقرزى
أنه يجلب للبحيرة كمية هائلة من المياه . وفي بعض السنين كانت مياه
الفيضان لا تفيض من ملء الحياض . ومثل هذا التصرف يجب أن
يصل للفيوم في أربعين يوماً أو ما يعادل ٢٤ مليوناً في اليوم .

وظاهر مما أوضحناه أن قنطرة اللاهون القديمة لم تكن موجودة
عند ما كانت البحيرة عند منسوب ٣٠.٠٠ الذى كانت عليه البحيرة
كما ستراه فيما بعد . والا فكيف كان يمكن لقنطرة ذات ثلاث عيون
سعة الواحدة ٢٦٧ من المتر أن تغذى قنطرة هواره ذات العشر عيون
والموجودة متهدمة بالجسر الأيمن لبحر يوسف أمام هواره المقطع .

والنابلسى لا يمكن أن يفوته وصف مثل هذه القنطرة . وقد

وصف بالتفصيل أعمالاً أصغر منها جداً بل لم يفته عمل صناعي بالفيوم .
ولحسن الحظ قد دونت البعثة العلمية المرافقة لرحلة نابليون بمصر
في كتابها « وصف مصر » (جزء ١٦ صفحات ٢١ - ٢٢) أن ثلاثة
أحجار عليها كتابة قد أزيلت من الدروة اليمنى الأمامية . وكانت زيارة
البعثة للقنطرة في ديسمبر سنة ١٨٠٠ ميلادية ؛ وكان يرافق البعثة
مملوك اسمه سليمان كاشف قال لهم انه قرأ الكتابة قبل سرقة الأحجار ،
وأنه مذكور بها أن القنطرة بناها السلطان سليمان بن محمد في القرن
السادس الهجري . والجزء الأول من كلام سليمان كاشف صحيح ؛
وأما الثاني فيظهر أنه تحرف في ترجمته للعالم الفرنسي لأن السلطان
سليمان بن محمد لم يكن أحد ملوك الفاطميين كما زعم العالم الفرنسي لأنهم
جميعاً كانوا يحملون لقب خليفة .

وذكر علي باشا مبارك (٢٣ - ١٣٦) أن القنطرة بنيت في عهد
الظاهر بيبرس الذي حكم من ١٢٦٩ - ١٢٧٧ م بعد أن كتب
النابلسي كتابه نحو خمس عشرة سنة . وكان هذا السلطان من المماليك
وعمل أعمالاً كثيرة للرى .

والدراوى الجميلة الأمامية ليست الأصلية ؛ لأنه في حكم وإلى
مصر محمد علي باشا ، وقبل أن تبنى القنطرة الحالية الجديدة تحت إشراف
لينان باشا ، أضاف هذا المهندس تسعة أمتار أمام القنطرة القديمة ؛
ومبانيها ظاهرة حتى اليوم (٢٣ - ١٣٥) .

وإذا ما تركنا اللاهون وانحدرنا في البحر نرى قنطرة قديمة

تصرف مياه البحر الى بحر بلاما أمام هواره المقطع اوفي عهد محمد على باشا لم تكن مستعملة لأن لينان باشا قال عنها ما يأتي

« وبحر بلاما — ومجره للشرق — كان موجودا قبل حدوث هذا

القطع (يشير الى القطع الذى حدث سنة ١٨١٩ و ذكرناه فيما مضى) ؛

وله قنطرة أمام هواره المقطع . وهذه القنطرة قديمة جدا ومتينة البناء ؛

وهي تستعمل بلا شك لتخفيف مياه بحر يوسف الى طاميه عندما

يزدحم البحر . ولا أفهم لماذا لا تستعمل هذه القنطرة في أيامنا هذه .

وملاحظة لينان باشا الأخيرة كثيرا ما ردها مقتشورى الفيوم .

وهناك مشروع لصرف حوالى ثلاثة أو أربعة ملايين متر مكعب في

اليوم الى بحر بلاما ، ومنها الى البطس ، فالبخيرة ، لتخفيف المياه

العالية ببحر يوسف ، ولتبع حدوث قطع كالذى حدث سنة ١٨١٩ غرب

هواره المقطع ، والذى — رغم كفاءة العمال الذين استخدمهم محمد على

باشا ونشاطهم — تغلب على مجهودهم ولم يسد الا في الصيف التالى .

وعملية سد هذا القطع وبناء حائطين أمام الجسر وخلفه في موقعه ،

والتي يمكن مشاهدتها الآن ، استغرقت سنتين (٣٤ — ٣٤٦) ؛ وكانت

توجد بموقع فم بحر طامية بالقرب من قشوش (قحافة) فنطره ذات

قوهتين يباين كانا يقفلان في الفيضان المنحط .

وكانت توجد سدود بنائية بالجسر الايمن أمام دموشييه الملاحة

(بالقرب من ترين العزب) مردوم فوقها بالتراب ؛ ولكن عند

ازدحام البحر كانت تزال الأتربة وتصرف المياه لتنفس عنه — كما

يقول نابلسى — وذلك في الأحوال الشديدة الخطر .

وأغلب الخلجان الآخذة من بحر يوسف كانت لها أعتاب ذات سعة مناسبة للزمام المتفع منها . غير أنى لاحظت أن بحر بمويه (سنهور) كان يأخذ مياهه بدون عمل بنائى لأن قنطرتة كانت مهدمة ؛ وهذا البحر قديم كما يرى من انحدار ميوله التدريجى . وإذا ترك مفتوحا فانه يصفى آخر قطرة من الماء ببحر يوسف .

والآن فلنذكر مواقع بعض المقاسم المهمة : فبحر ذات الصفا (تنهلا) كان عليه مقسم تلمندة في نفس موقع الصبة الجالية بكيلو ٣٠٠٠ ؛ وكان يأخذ أمامها خليج تلمندة لرى مطر طارس (٨ - ١٥٦) ؛ وبعده كان يوجد مقسم الفسقية اليوسفية ؛ ومكانه الآن بمجرى قديم لبحر تنهلا غير مستعمل تحت بلدة القبرا القديمة . ولا زال الفلاحون يذكرون هذا المقسم ؛ ولم يبق منه سوى أجزاء قليلة . وسمى هذا المقسم تخليدا لصلاح الدين الأيوبي ، بطل الحروب الصليبية ، لأن ورثته كانوا يملكون بلدة اخصاص الحلاق المجاورة للمقسم ، والتي كانت تأخذ مياهها منه . وهذا المقسم كان مهما جدا لأن أمامه كانت تأخذ الخلجان الآتية :

سرسنا ، الزربى ، ابريزيا (كفر عمبره) ، ذات الصفا (معصرة صاوى) ومنية البطس . وعلى بحر سنورس كان يوجد ثلاثة مقاسم كلها اسمها شاذروان ، وهو اسم فارسى معناه فسقية .

والمقسم الأول كان بموقع نصبه بيهمو .

والثانى كان للقبرا ومنشاة ابن الكردى (جيله)

والثالث لابهيت .

وبحر الغربية كان خليجا مهما . وفي موقع نصبه أبشواى وأبوجنشو
الحالية يوجد مقسم مهم لأنه كانت تتفرع عنده الأبحر الآتية :
أبو كساه ، أيشابه الرمان ، بيبج انشو ، طهار ، جردو
(٨ — ٤٦ ، ٨٨) .

وبحر منية اقنى كان عليه مقسم العرين حيث يأخذ بحر بيبج انقاش
وبحر الخبوشية .

وبحر دليه (بحر عروس) كان به مقسمان مهمان جدا : الأول
اسمه القلمبو بموقع نصبه أطسا الحالية ؛ والثانى التبرون بموقع قنطرة
حجز المنيا على بحر النزلة الحالية . والأول لا يزال مقسما مهما ؛ أما الثانى
فالفلاحون يتذكرون أنقاضه منذ خمسين سنة تقريبا .



هويس المجنونة

عند اللاهون

عند ما تأخذ مياه الفيضان في الهبوط ، وتعجز المياه الواردة الى مديرية الفيوم عن أن تنفي باحتياجات الري ، فان وقف تصريف المياه الى النيل يصبح لازما — ويؤدي ذلك بسد هدار اللاهون السابق المذكور . ولقد وصف أبواسحاق سنة ١٠٣١ هـ هذا الهدار بأن فتحته تبلغ ١٥٠٠ مترا عرضا و ٣٠٠ أمتار عمقا . فلا بد اذن أن اقفالها بطريقة محكمة كان معضلة كبيرة لمهندسي تلك الأيام . ولا عجب أن يأخذ الغرور « ريس » اللاهون ورجاله ويسموا أنفسهم « مهندسين » ؛ ويذهبوا الى أكثر من ذلك فيقترحوا على حكام الاقليم المنقولين حديثا طرقا جديدة لزيادة التصريف الصيفي الوارد الى الفيوم (٨ — ١٦) ؛ فقد كان يؤتى بجزع نخلة ويلف حوله اللبش والحشائش ، وتربط من طرفيها بالجبال ، وتنزل الى المياه أمام الهدار ، فيحملها التيار ، ويسحبها الرجال بالجبال الى موقع الفتحة حيث يسرعون بالردم عليها بالأتربة الى أن تصبح سدا أصم محكما ؛ ويمكن العبور عليه من اللاهون الى قاي . غير أنه يبدو لى أن جزع الشجرة أضعف من أن يعترض فتحة عرضها خمسة عشر مترا . ويحتمل أن الفتحة كانت في عهد النابلسي

أضيق من ذلك — عشرة أمتار مثلاً — أو أن الفتحة كانت منقسمة
بدعامة في الوسط .

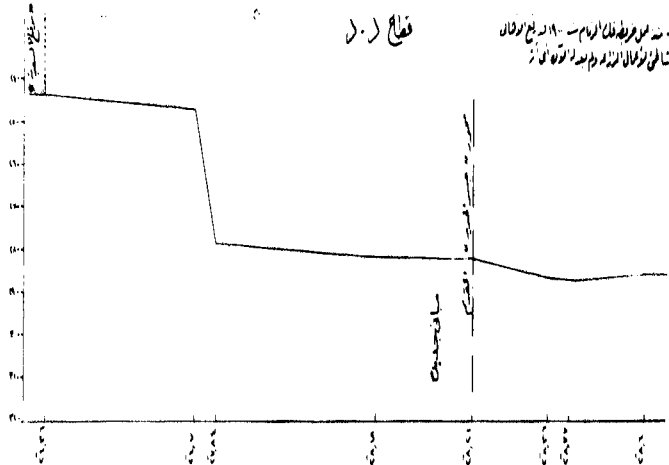
ولا يفوتني أن أذكر هنا عند شرح طريقة الاقفال هذه أن الرئيس
الحالى للاهون — وهو غالباً أحد أحفاد « مهندسى » اللاهون — حاول
دائماً أن يظهر لى أهمية عمله بطريقة تذكرنى بما كتبه النابلسى عن
أجداده .



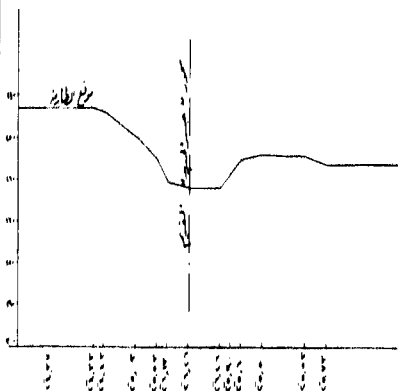
بركة الصيد

مع أن قصر قارون كان معروفا بهذا الاسم وذكره النابلسي به ،
غير أن البحيرة لم يكن اسمها بحيرة قارون بل بركة الصيد ؛ وكانت
مصبا لفضلات مياه الفيوم جميعها . كانت تصل إليها المياه بكثرة في
الفيضانات العالية . فاذا خيف على بلاد الفيوم وأقصاها من الفرق
فتحت قنطرة ذات بابين بين صنوفر وقشوش تصب في محفر البطس .
فاذا لم يغن ذلك أزيلت الأتربة من فوق سد بنائى يقابل دموشيا
بالجسر الأيمن لبحر يوسف تنصب منه المياه الى البطس . وكان عند
هواره البحرية قنطرة قديمة محكمة البناء اندثرت وكان يخرج منها من
الماء عشرة أضعاف ما يخرج من الفتحات السابقة . وقد قدر النابلسي
المياه التي كانت تجرى في البطس الى البركة قدر ما كان يجرى ببحر
منجا بالأعمال الشرقية يوم كسره . ويدوم جريان المياه الى البحيرة
شهرين ، عدا ما يجرى الى البركة من بحر الفيوم وذيله . وكل ذلك
لا يؤثر في البحيرة تأثيرا كبيرا سوى غرق بعض المزارع بالبلاد الواقعة
على شاطئها ، وهى منية أقبى وبمويه والطارمة ومنية البطس . وذكر
النابلسي أن مياهها كانت عذبة وكانت تزرع بالبر البحرية منها أراضي
بالسواقي ؛ ولم يبق من تلك السواقي في عهده سوى ساقية واحدة ؛
فكان ملوحة البحيرة كانت وصلت الى أقصى ما تحتمله الزراعة . وذكر

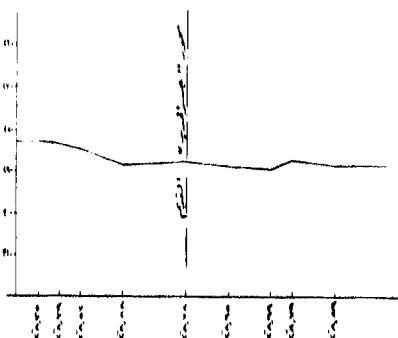
فصل دوم



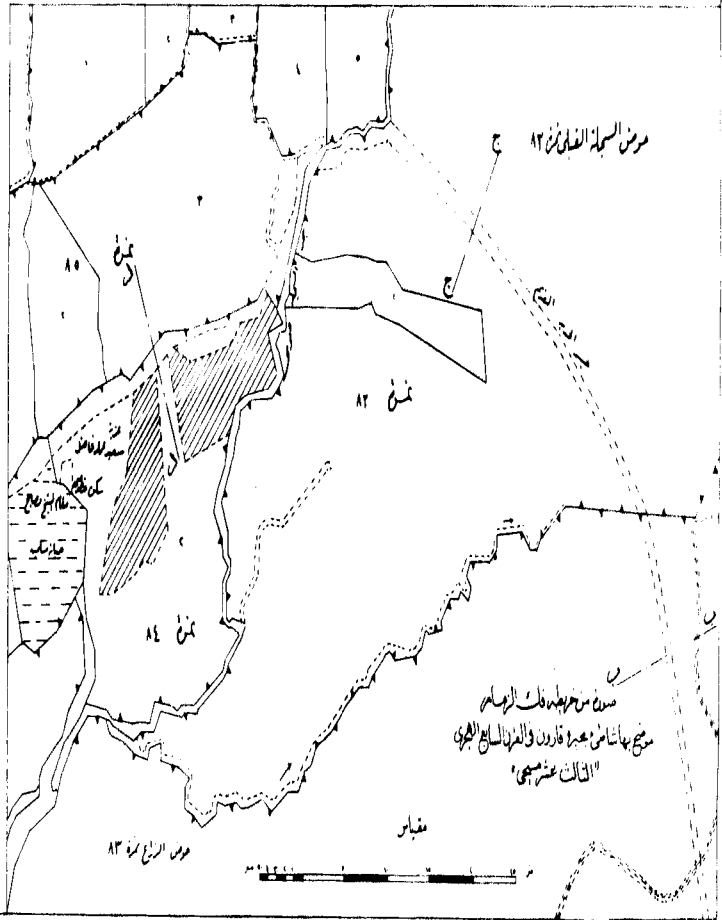
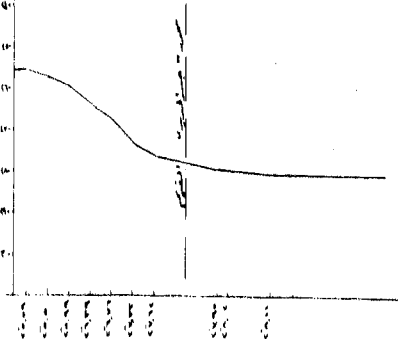
منافع البطارقة



فقطاع باب



فَلْيَجْزِجْ



النابلسى أن بالبركة من الأسماك ما لا يحصى جنسه ولا نوعه ؛ ويكثر صيدها في شحة النيل ، ويقل اذا كان عاليا لاتساعها . وطلب السمك الأعماق فيها . وقال انه في سنة ٦٤٢ هجرية ، في فصل الشتاء ، عصفت ريح باردة موجتها وبردت ماءها فمات فيها السمك وبات على أطرافها كأنه الجسور العظيمة . وأكد ذلك للنابلسى خولى البحر — وهو رجل متحرز في قوله لم يحرز عليه كذبا طول اقامته بالفيوم — أنه مر من الصباح الى الليل على شاطئ البحيرة فوجد الأسماك المذكورة أربعة صفوف : صف فراخ كبار (لعله القرموط) ، وصف بلطى ، وصف ليس ، وصف شال — كأنها البناء المرصوص . ووردت اليها الطيور والوحوش تأكل منها . وقال ان بالبركة نحو ٣٠ مركبا للصيد ؛ وكل ما كانت تدفعه من الضرائب للخزينة ٤٠٠ دينار .

وقد كان اهتمامى عظيما بتحديد منسوب بركة الصيد في ذلك العهد . ووفقت في ذلك بعثورى على مواقع البلاد التى كانت على شاطئها ، ثم عثورى بجوار موقع الطارمة في خريطة فك الزمام المطبوعة سنة ١٩٠٠ ، أى منذ نحو أربعين سنة على شاطئها الرملى محددًا في الخريطة . وأهل الفيوم يطلقون على شواطئ البحيرة جسر الحديد ، تشبيها له بجسر السكة الحديدية . كما يطلقونه الآن على شاطئ بحيرة موديس بين مدينة ماضى وقصر قارون . ويجد القارىء صورة من تلك الخريطة وقطاعات مواقع الجسر الذى أزال الفلاحون رماله لأغراض زراعية . ومن تلك القطاعات استنتجت أن منسوب البحيرة كان نحو ثلاثين مترا تحت الصفر .

مواقع البلدان

ان من الطريف أن نلاحظ التغير الذى اعترى مواقع البلدان خلال السبعمئة عام التى مرت منذ كتب التابلسى كتابه . ولقد كنت شديد الرغبة فى تحقيق مواقع البلدان التى كانت واقعة على شواطئ البحيرة ، وذلك لرصد مناسيها . وقد كان لتائج أبحاث صاحب السمو الأمير عمر طوسون باشا أهمية عظيمة ، كما أنى مدين لصديقى محمد بك رمزى الذى كان مفتشا للمالية بمديرية الفيوم .

وموانئ الصيد كانت من الغرب الى الشرق كما يأتى :

منية اقنى ، سنهور ، الطارمة ، منية البطس .

منية اقنى ، وتغطى أطلالها الآن مساحة كبيرة من « عزبة

الخرابة » . ولقد عرفت موقعها بالضبط من آثار حمامها العمومى الذى يتذكره كبار السن من الفلاحين . ولا زالت أساساته موجودة حتى الآن ؛ ويمر به الخليج المعروف باسم « بحر الحمام » .

سنهور ، وكانت فى الموقع الجالى لسنهور البحرية ؛ وكان يسكنها

العرب .

وأما سنهور الحالية فكانت تعرف باسم « بمويه » . وكان بها كنيسة

ودير ؛ وقد سكنها الأقباط .

الطارمة ، وقد كان من الصعب جدا الاستدلال على موقعها .
ولم أثر عليها الا بطريق المصادفة . وكان ذلك بواسطة قطع
الحزف التي من العهد العربي وأحجار الطواحين التي ما زالت ملقاة ؛
وقد كانت على منحدر مائل من شاطئ البحيرة وميناء مناسب لصيد
الأسماك . وأما الشاطئ الرملي للبحيرة في ذلك العهد والمين على
الخريطة المساحية فقد أخذ الفلاحون رماله . ويمكن لهذه البلدة أن تروى
من بحر تندود ، أحد أفرع بحر ترسا ، وهذا يتفق مع ما ذكره
النابلسي .

منية البطس : وكانت في الموقع الحالي لبلدة طامية ؛ لأنها تروى
من ذات الصفا (بحر تنهلا) . ووادي البطس كان كفيلا بأن يجعلها
ميناء آمنا لصيد الأسماك .

دموشيا الملاحه ، وأثارها معروفة للفلاحين الى هذه الأيام .
ولا زال الملح يغطي بعض البقع في هذه المنطقة .

ويقول أمين بك والى ، عميد عائلة ميزار ، أن بلدة « النزلة » كانت
تسمى « الحنبوشية » نسبة الى عائلته التي كانت تعرف باسم عائلة
الحنابشه .

قشوش ، وقد دلت القنطرة المستعملة لصرف الفيضان الى البطس
على أنها كانت في الموقع الحالي لبلدة « قحافة » .

وأما شيشها وبشطا وحداده فقد تعينت مواقعها بارشاد بعض

الناهين من أهالى منية الحيط . ولما اتفق رأيهم مع وصف النابلسي وافقتهم لعدم وجود مراجع أخرى أجدر بالثقة .

القبرا ، وكان من الصعب جدا الاستدلال على موقعها مع شدة رغبتى في تعيينه لمعرفة موقع مقسم الفسقية اليوسفية . وقد وفقت أخيرا الى معرفة موقعها فهى تعرف الآن باسم حوض التربة أو « القبر » باللغة العربية الصحيحة . ويمر تحتها مجرى غير مستعمل لبحر تنهلا (ذات الصفا) . ويذكر الفلاحون الى الآن آثار ذلك المقسم .

ولا يمكننى هنا أن أتوسع في شرح مواقع جميع البلدان الميينة على الخريطة ، فان ذلك يتطلب مجالا أوسع من هذا . ولكل من يعنيه هذا الموضوع أن يكتب الى عما يشك فيه من مواقع البلدان ؛ وانى أعده برد مقنع .

ولقد قرأت أخيرا محاضرة أقيمت في المجمع العلمى الفرنسى سنة ١٩٠١ للمسيو سالمون (١١) ، وهى ليست الا ترجمة فرنسية لما كتبه النابلسي . وأما الخريطة فقد عملها بناء على وصف النابلسي طبعا ولكنه لم يكن موفقا لجاءت عدية القيمة ومليئة بالأخطاء . فمثلا « غابة باحا » يضمها مكان « منشاة ربيعة » الحالية ، في حين يقول النابلسي ان « بحر دليه » يقسمها قسمين . « والطارمة » ، التى كانت ميناء صيد ، يضعها بالقرب من الفيوم . ويضع الحنبوشية ومسجد عائشة على البر الشرق لمصرف الوادى الذى يسميه « بحر طنبطويه » القديم ، وهو لا يذكر بالمرّة شيئا عن منية اقنى الشهيرة بحمامها العمومى ومصائد السمك .

الزمام

وقد توصلت الى معرفة الزمام المزروع بالطريقة الآتية :

فرضت عمقا معقولا من الماء فوق عتب فم طهار قدره ٤٠ سنتيمترا باعتبار أن هذا المقدار بين العمقين الأساسيين المستعملين الآن — وهما ٥٤ سنتيمترا و ٣٦ سنتيمترا . وهذا يسمح برى زمام ٣٢٠٠ فدان .

ولقد كان سرورى عظيما عند ما وجدت أنه يقرب من الزمام الحالى لناحية طهار وهو ٣٢٨٩ فدانا . وكانت الخطوة الثانية بسيطة — فقد عملت جدولا عن زمام كل ترعة وفرضت أن كل ساقية من السواقي المائة والثمانين — التى كانت في أيام النابلسى تروى عشرة أفدنة ؛ وبهذا وصلت الى تقدير المساحة التى لم تكن تحت نظام الرى الحوضى .

وأما القرى التى كانت تروى حينئذ ربا حوضيا فانها لا تزال حتى الآن تحت نظام هذا الرى مما يؤكد متانة ومزايا هذا النظام الذى ابتكره قدماء المصريين . وبجمع هذه الزمامات وجدت أن زمام بحر يوسف وفروعه في مديرية الفيوم — عدا مناطق الرى الحوضى — كانت ٣٥٠٠٠٠ فدان . ولما كان الزمام الحالى لبحر يوسف وفروعه يبلغ ٣٥٠٠٠٠ فدان فقد يتبادر الى ذهن الشخص العادى ، الغير الحبير بالرى في الفيوم ، أن هذا تأييد آخر لصحة الطريقة التى اتبعت لتقدير الزمام ؛ ولكن ليس هذا هو الواقع بكل أسف ، فان بحر وردان كان جافا عند «جزره» ؛ وبحر الفرق (بحر تنبطويه) كان ينتهى عند « دقلوه » ، في

الجهة المقابلة ، للجنوشية ، المعروفة الآن باسم النزلة . وحينئذ اتضح لى أنهم لم يراعوا نظاما موحدًا لعرض المقاسم بالنسبة للزمام ، بل ان خولى البحر المسكين كان مضطرا تحت ضغط الظروف أن يحاجى قري ذوى الحيشة . مثال ذلك ، اخصاص الحلاق ، (الاخصاص) — وكانت ملكا لورثة السلطان العظيم صلاح الدين الأيوبي ، مؤسس الدولة الأيوبية الحاكمة في ذلك الوقت — كانت تعطى ست قبضات كاملة وزمامها ٧٢٢ فداناً ؛ في حين أن ، فرقص ، كانت تعطى ٥ قبضات ونصف مع أن زمامها كان ٢٢٠٨ فدادين ولا غرابة اذن في أن توصف الاخصاص بأنها كانت جنة الفردوس في الأرض . وقد ذكر النابلسي أن محصول إحدى الحدائق فيها كان ٤٠٠ قنطار فيومي من الكثرى والتفاح المخضب مع أن مساحتها كانت تسعة أفدنة .

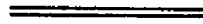
وقد كانت بمويه (سنهور الحالية) تروى من ترعة آخذة من بحر يوسف مباشرة بدون قيد ، مع أنها بلدة يسكنها الأقباط وبها كنيسة ودير ، فلا يحق اذن لمواطنينا الأقباط أن يشكوا تعسف الحكام المسلمين .

وللوصول الى تقدير أصح للزمومات في ذلك العصر قد انتخبت ست قري من القرى التي لم يتغير زمامها عما كان عليه حينئذ ، وهى مطر طارس والمصلوب ودفنو وجبله وأبو دنقاش وطبهار . وقد أعطت المعاملات الآتية على التوالى : ١٣٩٠ ١٥٠٦ ١٤٤٦ ١٩١٩ ١٦٩٦ ١٠٠٦ (أو ما متوسطه ١٩١٩ أو ١٣٠) . وعلى هذا الاعتبار يكون ما يروى

من قبضة واحدة ٣٣٣٣ من الفدان ، بدلا من ٤٠٠ فدان ؛ أو ٣ قبضات لكل ١٠٠٠ فدان من الزمام المرتب عليها . فاذا كان مقنن الفيضان هو ٣٠ مترا مكعبا للفدان في اليوم ، كما هو المرجح ، فانه يبدو غريبا أن يكون عمق الماء فوق الهدار ٥٨ سنتيمترا بدلا من الـ ٥٤ سنتيمترا التي تستعمل الآن للعتب الموحد الذي فتحته ١٠٠ متر والمقرر لرى ألفى فدان .

وقد ذكر سمو الأمير عمر باشا طوسون في كتابه « مالية مصر ، ان بعثة نابليون العلمية قاست القصبة الحاكمة المحفوظة في أحد جوامع الجيزة فوجدتها ٣٨٥ من المتر . وعلى هذا الاعتبار يكون العتب القديم أقرب الى العتب الموحد الحالي .

وعلى هذا الأساس يكون زمام مديرية الفيوم ٢٩١٠٠٠ فدان ، وهو تقدير معقول ويتفق مع ما هو مبين في خريطة ذلك العهد التي جهزتها .



مناطق الزراعات الصيفية والنيلية والشتوية

المساحة بالفدان	اسم الترع
٦٦٢٠٠	بحر يوسف (رى مباشر وترع صغيرة)
٧٨٠٠	بحر وردان
١٥٠٠٠	بحر الشرقية
٣٣٤٠٠	بحر ذات الصفا
٢٠٧٠٠	بحر سنورس
٧٩٠٠	خليج ترسا
٢٤٠٠٠	بحر منية اقنى
٥٢٠٠٠	خليج دليه
١١٣٠٠	بحر أبوصير دفدنو
٨٠٠٠	بحر سنرو
٤٢٠٠	بحر نقاليقه
٤٠٥٠٠	بحر تنبطويه
٢٩١٠٠٠	المجموع

مناطق الرى الحوضى

المساحة بالفدان	اسم البلد
١٥٠٠	دمشقين البصل
٢٥١٥	اللاهون (ومعها «الحصة»)
٢٣٥٦	الحمام
١٣٧٨	ناموستين
٢٠٠٠	بييج غيلان وكوم الرمل
٢٩٨٧	سدمنت
١٣٩٨	طما
١٤١٣٤	المجموع
٣٠٥١٣٤	الجملة

المحاصيل الزراعية

المحاصيل الشتوية :

كان القمح أهم المحاصيل الشتوية . وعلى اعتبار أن متوسط محصول الفدان خمسة أراذب فإن الضرائب البالغ قدرها ٧٢٤٠٣ أراذب كانت محصول ١٤٤٨٠ فدانا . ولما كانت القوانين الاسلامية — التي كانت متبعة بكل دقة — قد حددت ما يخص بيت المال بعشر المحصول فمن ذلك يتضح أن ما كان يزرع قمحا هو ١٤٤٨٠٠ فدان أو ما يقرب من نصف مساحة الأرض الزراعية بمديرية الفيوم . وإذا طرحنا الزمام المزروع قصباً وقطناً فإن الدورة الزراعية كانت ثنائية — أى ما يزرع قمحا هذه السنة لا يزرع حبوباً الا بعد سنة أخرى .

ويلى القمح في الأهمية الشعير والفل ، وكانا يشغلان ثلث مساحة الأرض الزراعية ؛ والباقي وقدره سدس الأرض كان حدائق وسمما وكتانا وكمونا وحبوباً زيتية وخضروات .

وقد كانت حدائق الفيوم تمد القطر بالكثيرى والتفاح المخضب ؛ وهما الآن نادرا الوجود اذ لا يمكنهما منافسة الفواكه الواردة من كاليفورنيا وأوربا .

المحاصيل الصيفية :

كان قصب السكر من أهم المحاصيل الزراعية ؛ وكان يعصر

بالطواحين المائية التي تدار بقوة سقوط المياه . وعلى اعتبار أن الضريبة الحكومية كانت ١٠٪ . فإن الأرض المزروعة قصباً كانت ١٦٥٠٠ فدان .

والقطن الذي كان يظن أنه أدخلت زراعته في أوائل القرن الماضي كان يزرع لسد الاحتياجات المحلية ؛ ولا بد أن المحصول الكلى كان ٤٤٠ قنطاراً لأن الحكومة كانت تجبى ٤٤ قنطاراً . وقد قدرت المساحة التي كانت تزرع أرزاً بنحو ٣٠٠٠ فدان .

وكانت الفيوم شهيرة بالأزهار . وقد اعتاد الرومان والاعريق أن يضعوا مع قبور موتاهم أكاليل من الزهور والأعشاب العطرية (كتاب فلندرز بترى — ٢٢)

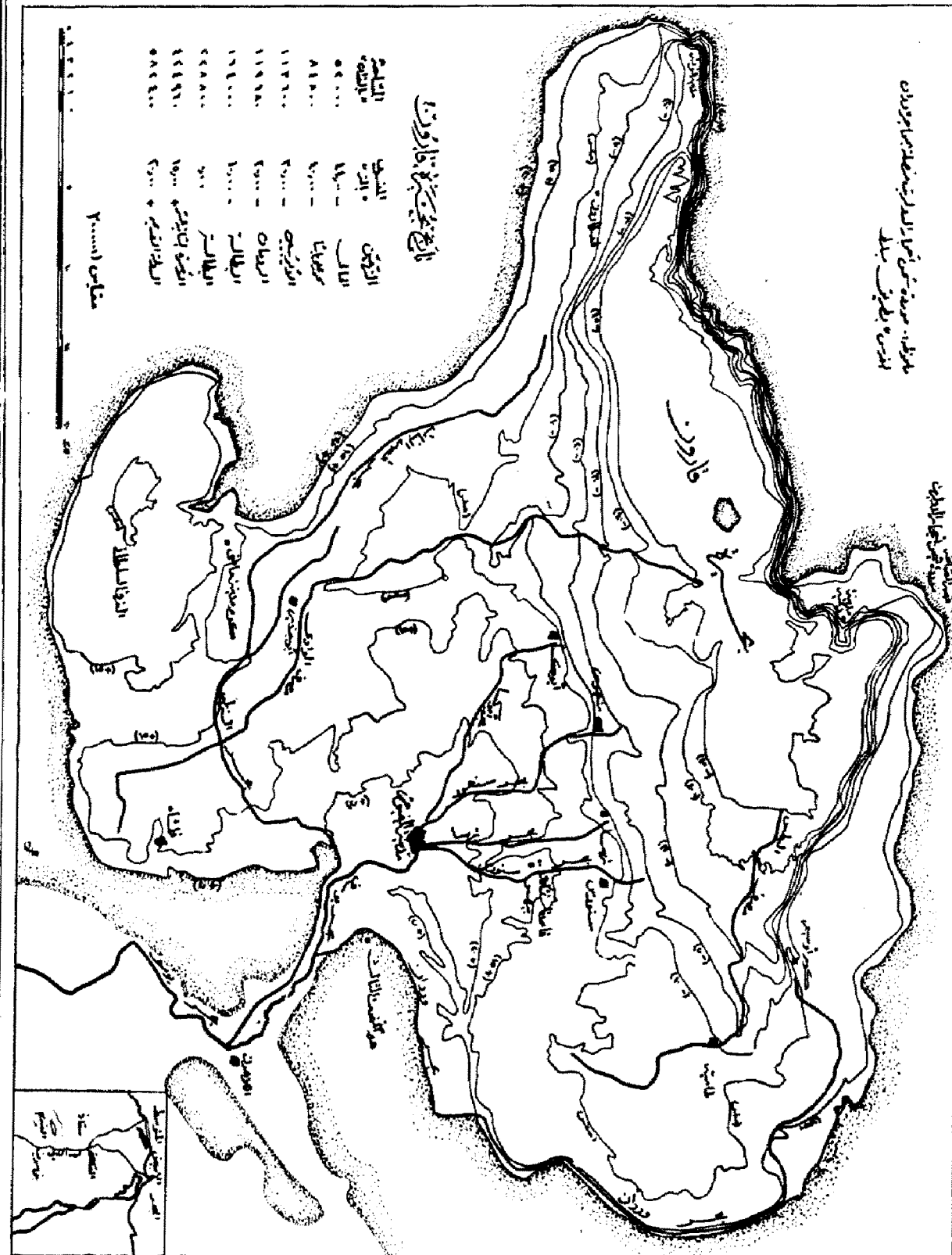
مقياس: مقياس شمس - المقياس المقياس المقياس
المقياس: المقياس

مقياس: المقياس

الخريطة الجغرافية لقارة افريقيا

الارتفاع	المقياس	الارتفاع
0 - 100	المقياس	0 - 100
100 - 200	المقياس	100 - 200
200 - 300	المقياس	200 - 300
300 - 400	المقياس	300 - 400
400 - 500	المقياس	400 - 500
500 - 600	المقياس	500 - 600
600 - 700	المقياس	600 - 700
700 - 800	المقياس	700 - 800
800 - 900	المقياس	800 - 900
900 - 1000	المقياس	900 - 1000
1000 - 1100	المقياس	1000 - 1100
1100 - 1200	المقياس	1100 - 1200
1200 - 1300	المقياس	1200 - 1300
1300 - 1400	المقياس	1300 - 1400
1400 - 1500	المقياس	1400 - 1500
1500 - 1600	المقياس	1500 - 1600
1600 - 1700	المقياس	1600 - 1700
1700 - 1800	المقياس	1700 - 1800
1800 - 1900	المقياس	1800 - 1900
1900 - 2000	المقياس	1900 - 2000
2000 - 2100	المقياس	2000 - 2100
2100 - 2200	المقياس	2100 - 2200
2200 - 2300	المقياس	2200 - 2300
2300 - 2400	المقياس	2300 - 2400
2400 - 2500	المقياس	2400 - 2500
2500 - 2600	المقياس	2500 - 2600
2600 - 2700	المقياس	2600 - 2700
2700 - 2800	المقياس	2700 - 2800
2800 - 2900	المقياس	2800 - 2900
2900 - 3000	المقياس	2900 - 3000
3000 - 3100	المقياس	3000 - 3100
3100 - 3200	المقياس	3100 - 3200
3200 - 3300	المقياس	3200 - 3300
3300 - 3400	المقياس	3300 - 3400
3400 - 3500	المقياس	3400 - 3500
3500 - 3600	المقياس	3500 - 3600
3600 - 3700	المقياس	3600 - 3700
3700 - 3800	المقياس	3700 - 3800
3800 - 3900	المقياس	3800 - 3900
3900 - 4000	المقياس	3900 - 4000
4000 - 4100	المقياس	4000 - 4100
4100 - 4200	المقياس	4100 - 4200
4200 - 4300	المقياس	4200 - 4300
4300 - 4400	المقياس	4300 - 4400
4400 - 4500	المقياس	4400 - 4500
4500 - 4600	المقياس	4500 - 4600
4600 - 4700	المقياس	4600 - 4700
4700 - 4800	المقياس	4700 - 4800
4800 - 4900	المقياس	4800 - 4900
4900 - 5000	المقياس	4900 - 5000
5000 - 5100	المقياس	5000 - 5100
5100 - 5200	المقياس	5100 - 5200
5200 - 5300	المقياس	5200 - 5300
5300 - 5400	المقياس	5300 - 5400
5400 - 5500	المقياس	5400 - 5500
5500 - 5600	المقياس	5500 - 5600
5600 - 5700	المقياس	5600 - 5700
5700 - 5800	المقياس	5700 - 5800
5800 - 5900	المقياس	5800 - 5900
5900 - 6000	المقياس	5900 - 6000
6000 - 6100	المقياس	6000 - 6100
6100 - 6200	المقياس	6100 - 6200
6200 - 6300	المقياس	6200 - 6300
6300 - 6400	المقياس	6300 - 6400
6400 - 6500	المقياس	6400 - 6500
6500 - 6600	المقياس	6500 - 6600
6600 - 6700	المقياس	6600 - 6700
6700 - 6800	المقياس	6700 - 6800
6800 - 6900	المقياس	6800 - 6900
6900 - 7000	المقياس	6900 - 7000
7000 - 7100	المقياس	7000 - 7100
7100 - 7200	المقياس	7100 - 7200
7200 - 7300	المقياس	7200 - 7300
7300 - 7400	المقياس	7300 - 7400
7400 - 7500	المقياس	7400 - 7500
7500 - 7600	المقياس	7500 - 7600
7600 - 7700	المقياس	7600 - 7700
7700 - 7800	المقياس	7700 - 7800
7800 - 7900	المقياس	7800 - 7900
7900 - 8000	المقياس	7900 - 8000
8000 - 8100	المقياس	8000 - 8100
8100 - 8200	المقياس	8100 - 8200
8200 - 8300	المقياس	8200 - 8300
8300 - 8400	المقياس	8300 - 8400
8400 - 8500	المقياس	8400 - 8500
8500 - 8600	المقياس	8500 - 8600
8600 - 8700	المقياس	8600 - 8700
8700 - 8800	المقياس	8700 - 8800
8800 - 8900	المقياس	8800 - 8900
8900 - 9000	المقياس	8900 - 9000
9000 - 9100	المقياس	9000 - 9100
9100 - 9200	المقياس	9100 - 9200
9200 - 9300	المقياس	9200 - 9300
9300 - 9400	المقياس	9300 - 9400
9400 - 9500	المقياس	9400 - 9500
9500 - 9600	المقياس	9500 - 9600
9600 - 9700	المقياس	9600 - 9700
9700 - 9800	المقياس	9700 - 9800
9800 - 9900	المقياس	9800 - 9900
9900 - 10000	المقياس	9900 - 10000

مقياس (كم)



بحيرة مويريس ، وبحيرة قارون

والبحيرة هي أهم مظهر للفيوم . وقد توالى عليها النقص : فبعد أن كانت عند منسوب (٤٣) وصلت الآن الى (٤٥ —) ، أى هبطت ٨٨ مترا . وقد تركت البحيرة وراءها شواطئها الرملية المغطاة بالظفر (الزلط) كبرهان ملموس ، ليس فقط على وجودها ، بل على مناسبتها في مختلف المصور . وهذه الشواطئ التي كونتها الزوابع لا زالت حافظة لشكلها للآن في بعض المناطق المعرضة للرياح المستديمة الشمالية الغربية ، والتي لا تزال الى الآن الرياح الغالبة المهبوب على مدار السنة . ويرجع الفضل في حفظ تلك الشواطئ الى جفاف جو مصر .

ودراسة هذه الشواطئ من الوجهتين البيولوجية والاثريّة ميدان يتطاحن فيه علماء الجيولوجيا والآثار .

ولربما اعتبر هؤلاء العلماء الأمر تطفلا من مهندسى الرى أن يتدخلوا في هذا البحث ؛ ولكنى أرى من الواجب على أن أدون معلوماتى واستنتاجاتى لأن الموضوع في نظرى موضوع رى من أطرف الموضوعات وأمتعها بحثا ، كما يرى من المناقشة بين المسيو فورتو (١٢) والمسيو بوشان (٤) عن التصرف الذى كان يمكن أن يمر في مجرى اللاهون بين النيل والبحيرة . وقد كتب السير همبرى برون

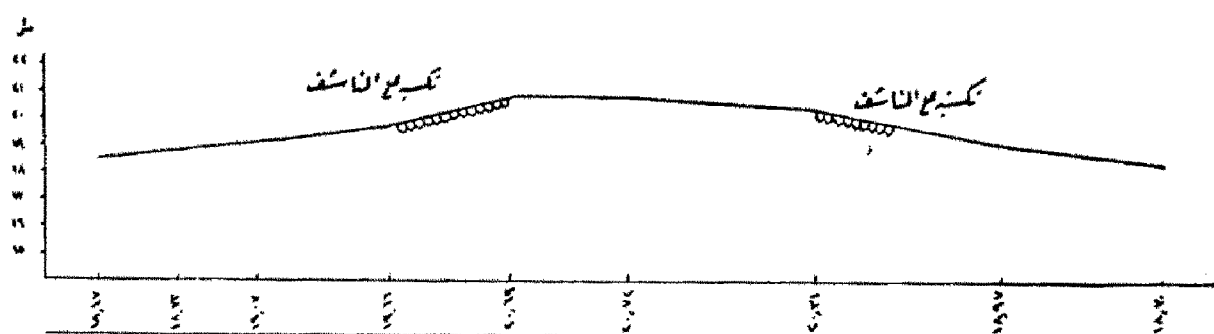
عند ما كان مفتشا عاما لرى الوجه القبلى كتابه عن الفيوم وبحيرة
موريس الذى يعتبر مرجعا مهما لهذا الموضوع . ولا أريد أن أورد
تفاصيل هذا الجدل ولكنى سأورد مناسيب البحيرة في العصور المختلفة
مدعما ذلك بالبراهين والأسباب .

(١) البحيرة ذات الشاطيء + ٤٢ الى + ٤٤ هى أعلى ما وصلت
اليه بحيرة الفيوم ، وكان ذلك في العصر الحجرى البلايوليتك ؛ ويمكن
مشاهدة هذا الشاطيء شمال مدخل الفيوم عند هواره . والظاهر أن
الباحثين لم يختلفوا في عصر هذه البحيرة .

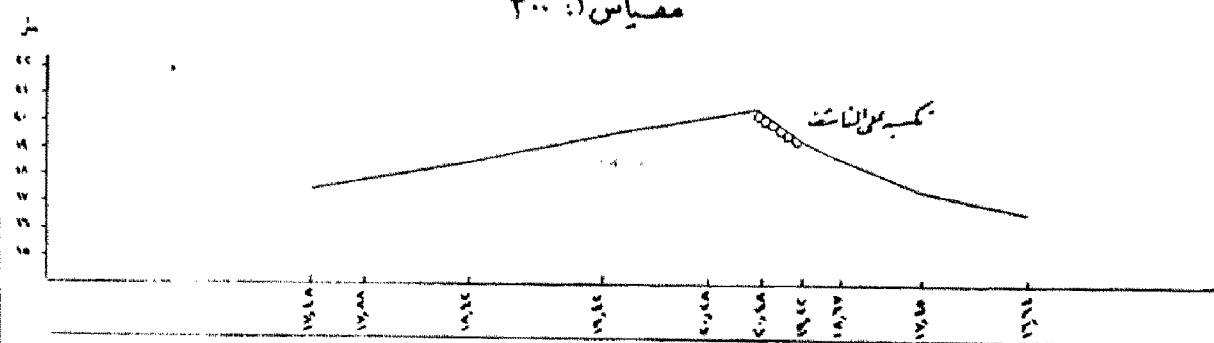
(٢) البحيرة ذات الشاطيء + ٢٢ الى ٢٤ ؛ وهاته البحيرة كان
منسوبها الأعلى نحو + ٢٠ مترا كما يتضح من قطاع شاطئها الذى يوجد
واضحا جدا وظاهرا كجسر للسكة الحديدية . ومن هذا المظهر يسميه
الفلاحون الذين يذهبون للصحراء لاستخراج الملح منها « جسر الحديد »
وعلى هذا الشاطيء أنشئت أغلب المدن المصرية القديمة ، مثل شدث
(كيان فارس) تبتونس ، مدينة ماضى .

وقد قمت برصد منسوب أرضية معابدها : فالمعبد المصرى بكوم
مدينة ماضى منسوب مسطح الأتجار المرصوفة به حجراته ٢٥٩٤ ؛
ومعبد تبتونس ٢٥٤٠ ؛ أما معبد أمنيحات الثالث بكيان فارس فقد
تهدم ولم يبق سوى بضعة أعمدة جميلة ملقاة على نحو منسوب ٢٤٠٠ .
والظاهر أيضا أن البلاد اليونانية الآتية أقيمت على أنقاض مدن
مصرية قديمة ، مثل : جرزا ، أم الاثل ، ديمه (والأخيرة اسمها

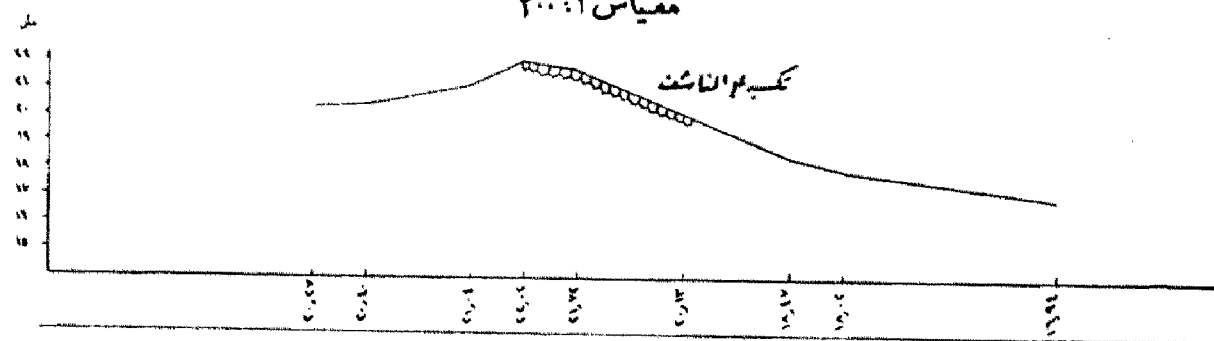
قطاع عرضي على موزدة شجن اججار الذولرب غرب قصر الصانع
مقياس ١: ٢٠٠

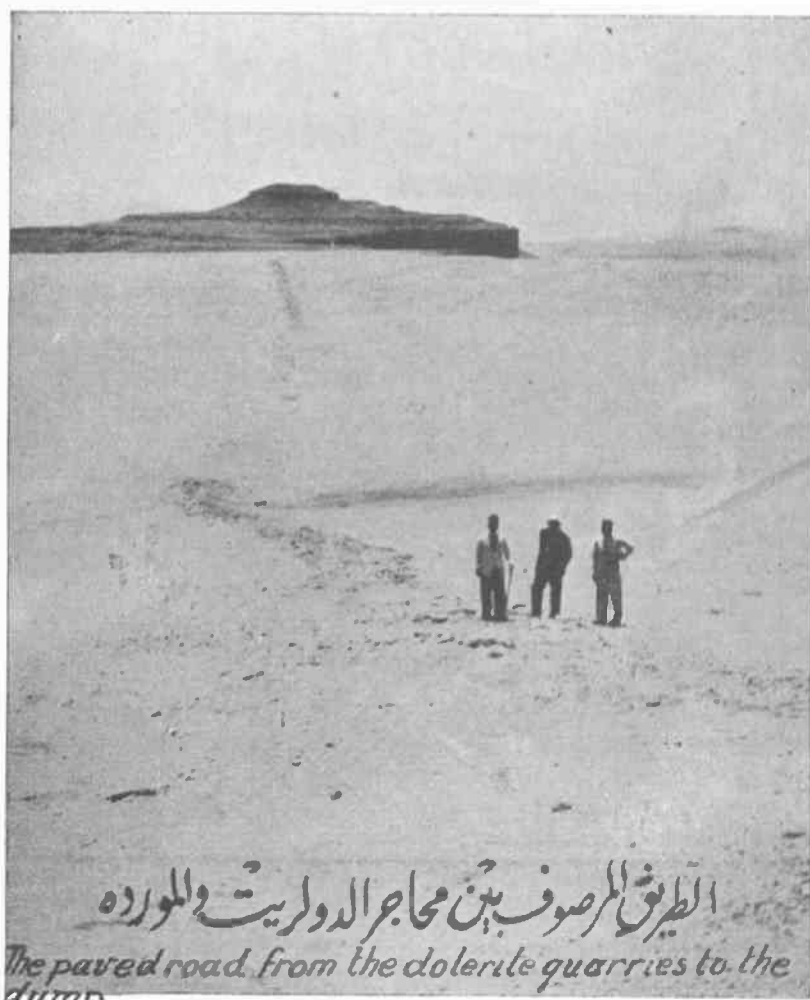


قطاع عرضي على الموزدة الشرقية جنوب معبد قصر الصانع
مقياس ١: ٢٠٠



قطاع عرضي على الموزدة الغربية جنوب معبد قصر الصانع
مقياس ١: ٢٠٠





Qasr el Sagha Temple with its floor
at R.L. +35.00

معبد قصر الصاغة وارض حجرانه عند منسوب +35.00



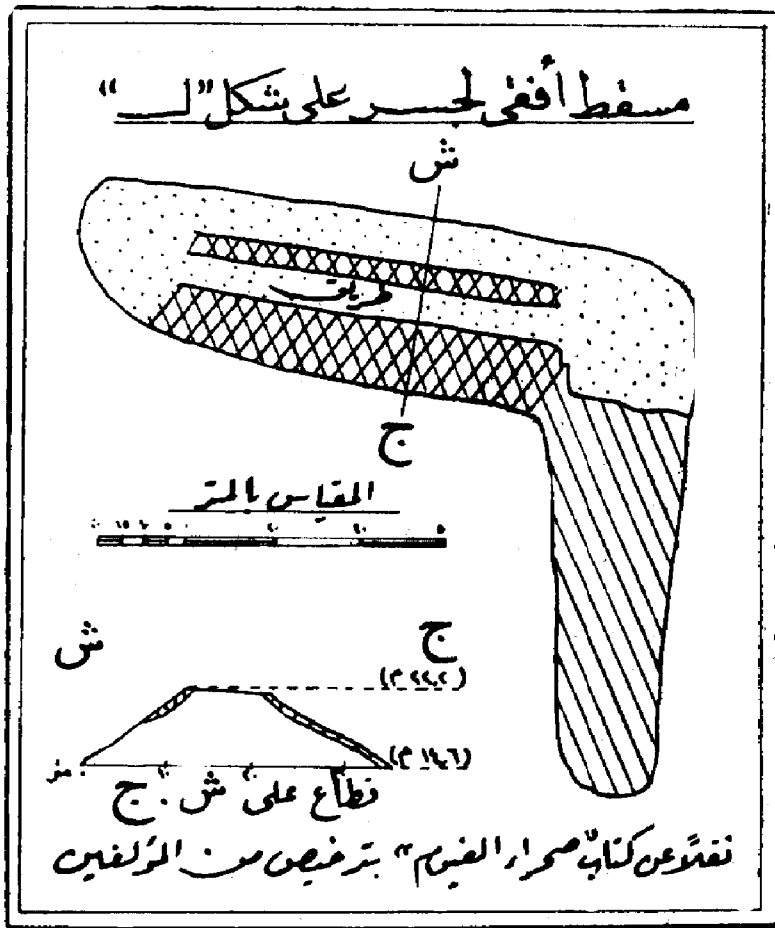
موردة اجار الدولريت غرب قصر الصاغة

The dolerite dump west of Qasr el Sagha

باليونانية سكنوبايوس نسوس ، أى جزيرة مدينة التمساح ، فتسميتها
بالجزيرة ترجع الى عصر ارتفاع البحيرة الى منسوب + ٢٠٠٠ ،
وبذلك تحيط بها المياه . ومعبد قصر الصاغة منسوبه + ٣٥٠٠ ، غير
أن أمامه موردتين مكسوتين بالدبش على الناشف لا زالتا المحفوظتين
الى الآن ، وقتهما على منسوب + ٢١٠٠ و ٣٠٥٠ (٣ - ١٣٤) -
وقد حققت تلك المناسب نفسى (انظر القطاعات العرضية) .

ومعبد قصر الصاغة - كما أجمع عليه علماء الآثار - مصرى
قديم . وغرب قصر الصاغة جسر من التراب ملقى عليه كثير من أحجار
الدولوريت أو البسلت ، كما لو كان مزجها ونقلها بالمراكب عبر البحيرة
الى وادى النيل (انظر قطاعه العرضى) . ومنسوب سطح هذا الجسر
+ ٢٠٨٠ ؛ وهو متصل بطريق مبلط بالأحجار الى ودان الفرس
الواقعة شمال البحيرة ، حيث يوجد الدولريت بسلسلة جبل القطرانى .
وقد ظهر فيما بعد أن أرضية معابد أهرام خوفو ومعابد أهرامات
أبى صير مفروشة بحجر الباسلت . وقد أثبت المستر لوكاس ، كياوى
مصلحة الآثار ، والذي يرجع اليه الفضل في المحافظة على آثار
توت عنخ آمون وعلاجها بالمواد الكيماوية ، أن المصريين القدماء لم
يستعملوا من محاجر الباسلت بمصر سوى محاجر الفيوم ؛ أما محاجر
أبى زعبل وسالموط فلم تكن مستعملة في أيامهم (١٤ - ٥٩) - فأى
برهان مقنع يمكن لى تقديمه أكثر من ذلك على وجود بحيرة مورييس ؟
ولو كانت البحيرة قد هبطت الى ما تحت الصفر في عهد ما قبل

الأسرات — كما تقول المس كاتون تومبسون والمس جاردنر — لبنيت
 البلاد على مناسيب مختلفة ؛ والا فان رجال قرية قوته كانوا يعتقدون
 بقوة نسائهم الحارقة للعادة عند ما بنوا قريتهم على منسوب ٢٥ مترا أعلى
 من سطح البحر على جبل شديد الانحدار . فمن الصعب عليهن أن يملأن
 جراهن ويصعدن هذا الارتفاع . وغرب موردة حجر الدولريت
 (البسلت) السابق ذكرها يوجد طراد وبه جزء من صليبه ؛ والطراد



كان لا بد واصلا للجبل لأنه على امتداده تقع عدة أكوام باقية منه
 بعد أن جرفت السيول النازلة من الجبل الجسر ؛ وما بقى منه لا يترك
 أقل شك في أنه عمل لتخزين الماء . وميوله القبلية المواجهة للخزان

والمعرضة للأمواج الشديدة مكسوة بالحجر من قته الى قدمه (بطول ١٤ مترا) . أما ميله البحرى — حيث يوجد شريط ضيق من الماء بينه وبين الجبل ، وبذلك لا تشتد فيه الأمواج — فغير مكسو منه سوى خمسة أمتار من قته . و سطح الجسر منسوبه + ٢٢.٣٣ ، والأرض منسوبها + ١٤.٥٠ ؛ وبذلك يكون الخزان صالحا لخزن ماء بعمق ٦.٥ متر ؛ وهو العمق المعقول لبحيرة متصلة بالنيل . فاذا سمحنا بانحدار معقول للماء من النيل الى البحيرة ، ومن البحيرة الى النيل ، وقدرناهما بتمر ونصف ، ثم قدرنا التبخر من الخزان بتمر ونصف في الفترة التى تبقى فيها المياه ، وكان اختلاف مناسيب النيل أمام اللاهون بين الفيضان والصيف ثمانية أمتار — لاستنتجنا من ذلك أن سمك المياه الممكن الارتفاع به في الخزان خمسة أمتار ؛ ومنسوب فيضان البحيرة عند أعلى المناسيب ٢٠.٥ ؛ فيكون الجسر أعلى من الفيضان بتمر ونصف . ومثل هذا الارتفاع لا يكفى لو كان الخزان معرضا للأمواج الشمالية الغربية . والحقيقة أن لا جسور يمكنها أن تقاوم شدة زوابع الشتاء الا اذا كانت مثل رصيف قناة السويس ببور سعيد . ولكن هنا المسألة غير ذلك لأننا تحت حماية جبال قصر الصاغة شمال البحيرة . أما الغرض من انشاء هذا الخزان فهو زراعة ما تنحسر عنه البحيرة وريه ربا صيفيا بالراحة — وكان موقع هذا الخزان يساعد على ذلك كثيرا .

وقد أوردت مؤلفنا كتاب صحراء الفيوم (٣ — ١٣٤ و ١٣٥) وصف هذه الجسور ورسمناه باللوحه ٨٤ جزءا ، وأوردنا صورته

الفوتوغرافية ٧٦ ، وقالتا انهما متحيرتان من الغرض من هذه الجسور .
ولهما الحق في ذلك لأنى ذهبت هناك بنفسى ودرست الجسور بالطبيعة
ولم يمكنى حينئذ أن أفهم الغرض منها حتى تركت الفيوم وبدأت أدون
مذكرالى فعمى لى التعليل الذى أوردته . ولم تجد المؤلفتان من الآثار
بالجسر ما يعطيا فكرة عن تاريخه سوى سكين من الظر ومسحقة من
حجر الديوريت اجعلتاها يقرران أنه من الدولة القديمة — وهذا يتفق
مع وجود بحيرة موريس ذات منسوب + ٢٠ر٠٠ في ذلك العهد .

ووجدت جسورا مماثلة للجسر السابق بالقرب من ديمه التى تقع
جنوب قصر الصاغة بما يقرب من ثمانية كيلو مترات (٣ — ١٥٦
و١٥٧) . وانى أوافق المس جاردنر على أن تلك الأحواض لم يكن من
الممكن ملؤها من نهاية بحر وردان ، فانه لو وجدت التربة التى تغذيها
لمرت بميل جبل قصر الصاغة ، ولتركت آثارا . وعلاوة على ذلك فان
التربة القديمة التى اكتشفتها مؤلفتا كتاب صحراء الفيوم بنهاية بحر وردان
القديم نمر بمنسوب + ٦ر٠٠ ؛ ولا شك أنه يستحيل على تلك التربة أن
تغذى أحواضا تبعد عنها ٤٠ كيلو مترا ومنسوب قاعها + ١٤ر٠٠ مترا .

والى ما تقدم يجب أن نضيف برهانا آخر عن وجود بحيرة موريس
وهو شاهد قوته المفقود ؛ وقد استلقت نظرى اليه حضرة صاحب
العزة كامل غالب بك ، وكيل وزارة الأشغال ، فزرت موقعه وبحث
عنه جيدا غير أنى لم أعر عليه . واتصلنا بمصلحة الآثار لتساعدنا في
البحث عنه . ولما كان تفتيش رى الفيوم مكلفا دراسة مشروع وادى

الريان ؛ والموضوع له علاقة بهذا المشروع لأن مشروع وادي الريان ما هو الا عود الى مشروع قدماء المصريين — فقد وضعنا تحت تصرف المصلحة المذكورة المبلغ اللازم للبحث عن هذا الشاهد ، فانتدبت المصلحة أحد مفتشيها ولكنهم وجدوا أن سفي الرمال والسيول قد طمر هذا الشاهد ولا بد من انتظار سيل كالذي حصل سنة ١٨٩٨ لكشفه مرة ثانية ففي تلك السنة كان بعض الأعراب يرعون جمالهم بالقرب من قوته فعثروا عليه وبدءوا يحفرون حوله عن كنز مفقود . ولما علم عمدة كحك في ذلك الوقت بأمرهم أرسل اشارة الى مدير الفيوم الذي أخطر بدوره مصلحة الآثار وهذه كلفت المسيو دارسي ، أحد مفتشيها ، ليقدم تقريراً عن الموضوع فكتب تقريره الذي طبع بتقرير مصلحة الآثار سنة ١٨٩٩ . واتضح من تقريره أن هذا الشاهد وضع على شاطئ البحيرة لأنه مكتوب على أحد وجهيه بالخط الميروجليفي . الحد الشمالي لبحيرة الاله سبك ، ، وعلى الوجه الآخر الحد الجنوبي لبحيرة الاله سبك ، ، وتحتها كتابة ثالثة كما يأتي . هذا الشاهد أقيم لتمجيد سيد البحيرة الاله سبك على نفقة رئيس (عمدة) بلدة نخت ، — وكان الشاهد من الجرانيت الأسود . وقال المسيو دارسي أن طوله ٢١٠ من المتر وعرضه ٨٨ . من المتر . ومع أنه لم يذكر سمكه فاننا نقدره بنصف متر ؛ ومثل هذا الحجر لا بد أن يزن ٢٢٥ من الطن ولا يمكن القول بأن لصوص الآثار نقلوه من موضعه . وبدل أن يهتم المسيو دارسي برصد موقع هذا الشاهد فانه مثل كل علماء الآثار قصر

اهتمامه على كتابة يونانية وجدها على أحد الأحجار بأطلال قرية قوته
استنتج منها أن قوته هي ديونسياس ، وأن وصفها منطبق على قوته ،
وليس على قصر قارون كما جاء بكتاب جرنفل وهنت عن مدن الفيوم
(صفحة ١١) . والأخيران لم يقبلا هذا الانتقاد فمادا الى الفيوم وزارا
الموقع وأثبتا خطأ المسيو دراسي (١٦ - ٦) وقد قيل لى ان المسيو
دارسى وقد أصبح شيخا يناهز الثمانين يعيش في باريس ، وقد ذهب
لزيارته بعض عشاق بحيرة موديس ، فوجدوا صحته ليست على ما يرام
وتعذر عليه اعطاء أى وصف لموقع الشاهد .

وقد كنت أكثر حظا لأن فخرى افندى ، مفتش الآثار ، أحضر
لى ملف الموضوع فعلمت منه أن الشيخ الذى رافق المسيو دارسى الى
قوته (وتسمى أحيانا ياقوته) هو الشيخ على كحك ، عمدة ناحية
كحك الآن ، فزرتة بمنزله ووجدته رجلا طاعنا في السن بدينا . ولما
طلبت منه أن يرافقنى الى قوته ليرشدنى من ذاكرته الى موقع الشاهد
رفض رفضا باتا غير أنه بدأ يلين لى لما أخبرته أنني سوف لا أصرح له
بمأسورة أرز على بحر النزلة . ولما ركب معى في السيارة ، ووصلنا الى
حاجز الجبل المقامة على ميله قوته ، لم يمكن السيارة الصعود ، ولم يمكنه
هو أن يصعد معى الى أطلال البلدة — غير أنه أشار بعصاه الى موقع
قريب من أطلال البلدة — ويمكن اعتبار منسوبه + ١٨٠٠ مترا —
وأكد لى أن الشاهد كان قريبا من الحرائب ولم يكن عند قاعدة الجبل .

ولو أن بجى عن ذلك الشاهد قد فشل ، لعدم عثورى عليه ، غير أنه أنتج تحضيرى لمشروع رى منطقة مساحتها ١٠٠٠٠ فدان من أجود أطيان القطر المصرى ، قنا بمساحتها بالتفصيل . وقد كلفت ركاب المساحة بالبحث عن الشاهد أو أى عمل آخر ، فوجدنا كثيرا من ترع الرى الرومانية بين قصر قارون وقوته ، ووجدنا أيضا مورده من الحجر حددت لى منسوب البحيرة بين — ١٥٠٠ و — ١٧٠٠ . وهذا يمكن اعتباره أوطى منسوب وصلت اليه البحيرة عند ما كانت قوته مسكونة ؛ والا لنقل ، المداوى ، أحجاره الى المنسوب الأوطى مع مياه البحيرة ؛ ولم نجد موارد أعلى منها . والمعدية كانت على الطريق بين قوته ومعبد قصر قارون .

(٣) والشاطىء الذى منسوبه ٠.٠٠ الى ٢.٠٠ ، والذى يمر عند طامية وتل المركة جنوب أبى دنقاش — وهذا يمطينا بحيرة منسوبها حوالى ٤.٠٠ . ورمل هذا الشاطىء قد أزيل لأعمال الزراعة فى أغلب طوله ، كما حصل لشاطىء بحيرة — ٣.٠٠ الذى سيأتى وصفه . وهذه البحيرة كانت فى عصر زاهر — مثل عصر البطالسة — عند ما استعمر الفيوم الجنود المقدونية ، فنشأت على شاطئها طامية ، سرسنا ، المعصرة (ذات الصفا) ، سنورس سنهور ، أبو كسا ، أبشواى ، أبو دنقاش ، قصر البنات ، قصر قارون .

والسكة الزراعية التى تصل هذه البلاد لا تزال تمر على هذا الشاطىء . وانحدار الأرض قليل جهة البحيرة وكبير جهة الزراعة .

(٤) والبحيرة ذات المنسوب — ١٥٠٠ الى — ١٧٠٠ . والبرهان على وجودها الموردة المكتشفة عند قوته والسابق ذكرها . ويظهر أن هذه البحيرة كانت في أواخر العهد الروماني ؛ وكانت منية اقنى التي ذكرها النابلسي على شاطئها لأن أطلالها عندمنسوب — ٢٠٠ ره أمتار . وأهمية هذه البحيرة في نظري أنها تحدد لنا المنسوب الذي وصلت له ملوحة البحيرة لدرجة يتعذر معها استعمالها للشرب ؛ وكذلك قد هجرت البلاد الغير الواصلة لترع الرى والتي كانت تعتمد في شرب سكانها ومواشيها على البحيرة . وقد وجدنا قرب موردة قوته السابق ذكرها خزاناً صغيراً من الآجر مثل خزانات الماء الرومانية شمال كوم وشيم ؛ وهذا الخزان كان يملأ من الترعة الرومانية على بعد خمسة كيلو مترات الى الجنوب — وهو برهان على الكفاح للحياة في ظروف غير ملائمة لها .

ومياه البحيرة كانت صالحة للزراعة لأنه حتى سنة ٦٤٢ هجرية ذكر النابلسي أنه توجد ساقية شمال البحيرة ؛ وذكر أنه كانت توجد سواق غيرها في الأزمان السالفة . وملوحة البحيرة في ذلك العهد ، عند ما كانت — ٣٠٠٠ ، أكثر مما تتحملة الزراعة .

(٥) والبحيرة ذات المنسوب — ٣٠٠٠ الى — ٢٨٠٠ كانت في القرن الثالث عشر الميلادي عند ما كتب النابلسي كتابه ؛ ووصفها ووصف مصائدنا .

أما كيف أمكننى تحديد منسوبها فيجده القارىء في مكانه من هذه الرسالة .

(٦) والبحيرة التى منسوبها — ٤٠٠٠ أمتار كانت في عهد والى مصر العظيم محمد على باشا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادى . والسد الحجرى بقاع بحر يوسف أمام قنطرة هواره منسوبه + ٢١٠٠٠ كما ذكره السير همبرى برون (٢ — ٣٤ و ٣٥) . وقد حققته بنفسى فوجدته + ٢١٠٥٤ . وهذا يتفق مع الفرق المعروف عن مقاييس بحيرة قارون قبل تاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٠٤ . والسير همبرى برون قد ذكر أن منسوب بحيرة قارون ، كما رصدها لينان باشا ، وزير الأشغال في حكم محمد على باشا — ٤٠٨٠ . وهذا يجعلها — ٤٠٣٠ من المتر بحسب المناسيب الدقيقة التى عملتها مصلحة المساحة (٢ — ٣٧) . والبحيرة الآن غير مصرح بهبوطها عن منسوب ٤٥٠٠ ، وذلك لصالح مصائد الأسماك .

وانى أعتقد أن مشروع صرف الفرق عند تمام صرفه لزام قدره ٢٠٠٠٠ فدان الى البحيرة ، والتوسع في انشاء المصارف للأراضى المحرومة الآن من الصرف ، مضافا الى ذلك الرغبة الشديدة في اصلاح الأراضى البور وزراعتها لتفى بحاجة السكان الآخذين في الزيادة — كل هذه العوامل سترفع البحيرة الى منسوب — ٤٣٠٠ مترا ، وبذلك تفرق ٢٠٠٠ فدان من الأراضى المزروعة ؛ ولكن الربح الناتج من تحسين الصرف والرى ومصائد الأسماك يزيد كثيرا عن المبلغ اللازم لتعويض هذه المساحة .

الضرائب

كانت الضرائب تدفع الى الحكومة عينية ونقدية .

أما الأولى فكانت كالآتي : ١٤٠٧٣١ اردبا من الجوب (القمح والشعير والفول والأرز) ، ومحصول ١٦٥٤ فداناً من قصب السكر ، و ٤٤ فطاراً من القطن الذي كان يزرع في كثير من القرى ، منها قبشة ودفدنو وتطون وشلاله . والأخيرة كانت تزرع ١٥ فداناً وحدها ، وكانت تدفع ٢٢ دينار ونصف للحكومة ، أى بمعدل دينار ونصف عن الفدان الواحد . وعلاوة على هذه الضرائب المذكورة كان على كل قرية أن تربي عدداً من الطيور لتقدم الى مطابخ السلطان ؛ ومن عدد الطيور التي كان على الفيوم وحدها أن تقدمها ليخلل لي أن هذا كان عبئاً ثقيلاً على الفلاحين المساكين .

وأما الضرائب التي كانت تجبي نقداً فانها بلغت ٢٧٦٤٦ ديناراً ، منها ٢٣٥٤ كانت مقررة على غير المسلمين من السكان (الجوالى) : ٤٠٠ دينار من مصائد أسماك بحيرة قارون ، ٨٧٠ ديناراً عن المواشى ، و ٦١٩ عن الأغراب والزيتون والنخيل ، و ٢٦٨ ديناراً عن السواقي .

ولكى نعطى فكرة عن أثمان الأشياء في تلك الأيام نذكر هنا ما جاء بصفحة ٣٥ من كتاب ابن مماتي : « أما بدل الغلات فجرت العادة أن يبدل اردب القمح باردبين شعيراً أو ياردب ونصف فولاً ، و ياردب

حمصا ، وباردب ونصف جلبانا ؛ واردب الشعير بنصف اردب قمح ،
وثلاثي اردب فول ، ونصف اردب حمص ، وثلاثي اردب حمص واردب
جلبان ، .

والجنود الأتراك والأكراد والتركان والماليك دينارهم جيشي
كامل . أما الجنود الكتانية — ومن يجري مجراهم — فدينارهم نصف
دينار اقطاعي (جيشي) .

وأما الجنود العرب فكانوا يعطون ثمن القسيمة فقط .

وتشبه هذه الطريقة ما لا يزال متبعا بين بعض قبائل العرب عند
الزواج ، فانهم يتفقون على أن يدفع الزوج مهرا قدره مائة جمل ، ويقبل
والد الزوجة ثمنها مقدرا بضعة قروش للجمل الواحد منها بحجة أن الجمال
قليلة الوجود ، وبذلك يصبح المهر المدفوع فعلا مبلغا بسيطا .



السكان

كان أكثر السكان من العرب — عدا بمويه ، ومنية الآسف ، وأولاد عرفه ، ومدينة الفيوم عاصمة المديرية فإنها لم تكن مقصورة على العرب .

وأشهر القبائل العربية هي : بنى كلاب ، وبنى عجلان ، ولواته .

بنى كلاب : وكانوا في وسط المديرية وغربها وجنوبها .

بنى عجلان : وكانوا في القسم الشرقى والقسم الشمالى من المديرية .

لواته : وكانوا في الجزء من مديرية الفيوم التابع الآن لمديرية

بنى سويف ، وبالفيوم ، وديمشقين ، واللاهون ، وهواره ، وكوم درى .

وقد كانت أسماء كثير من أفخاذ القبائل تطلق على بعض القرى ،

مثل الجعافرة ومنشاة ربيعة وهواره . وانه مما يدعو للأسف أن كثيرا

من هذه الأسماء قد تبدل الآن ليس الا لأن سكان هذه القرى —

مثل بنى مجنون والكلايين — لم يرتضوا هذه الألفاظ ونسوا ما تحمله

من مجد القدماء . وانه لمن الطريف أن نلاحظ أن كل هذه القبائل

العربية أصبح أفرادها الآن فلاحين لا يختلفون عن أهل البلاد ؛

ولم يشذ عنهم الا قبيلة سمالوس ، فانها لا تزال متمسكة بعوائدها

القديمة . وأما العرب الذين يقطنون الآن الفيوم فان أكثرهم قد وفد

اليها حديثا من شمال افريقية ؛ وقد زادهم عددا في هذه السنين الأخيرة

بعض اللاجئين من طرابلس .

فهرس المراجع

- (١) *The Topography and Geology of the Fayoum Province of Egypt*, Egyptian Survey Dept., Cairo 1905, 302 pp. with 24 plates.
- (٢) BROWN, (Major R. Hanbury), *The Fayoum and Lake Moeris*, 40, London, (Edw Stanford), 1892.
- (٣) CATON-THOMPSON (Miss G.) and GARDNER (Miss E.W.), *The Deser Fayoum*, London, (Published by The R. Anthropol. Institute) 1934.
- (٤) POCHAN (André), *Note au Sujet de la Gorge d'Illahoun, déversoir discuté du Lac Moorise*. Bulletin de l'Institut Egyptien, Le Caire, T. XVIII, 1935-1936.
- (٥) SANDFORD (K.S.) and ARKELL (W.J.) *Palæolithic Man and the Nile Fayoum*, Divide. Orient. Inst. Chicago, Vol. X., 1929.
- (٦) المقرزى .
- (٧) قوانين الدواوين لابن ممان ، مطبعة الوطن ، سنة ١٢٩٩ هـ ٣٩٩ ص .
- (٨) تاريخ الفيوم لابن عثمان النابلسى الصفدى ، المطبعة الأميرية ، سنة ١٣١٦ هـ ١٨٠ ص .
- (٩) التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية لابن الجيعان ، مطبعة بولاق سنة ١٣١٦ هـ ١٩٦ ص .
- (١٠) M. DARESSY, Report on *Yacouta and the Stela*, Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, T. I, 1899, p p. 31, 44, 47
- (١١) G. SALMON, *Ketab Tareekh el Fayoum de Al Nabulsi*, Bulletin de l'Institut Français, 1901.
- (١٢) R. FORTAU, *Le Fayoum et le Lac Moeris*, Bulletin de l'Institut Egyptien, 1895,
- (١٣) HUSSEIN FAUZI, *Successful Stocking of Lake Qarun with Mulletts*, Egyptian Fisheries Research Department.
- (١٤) LUCAS, *Ancient Egyptian Materials and Industries*.

- H.O. LITTLE, *Recent Geological Work in the Fayoum and in the adjoining portion of the Nile Valley*, Bulletin de l'Institut d'Egypte, T. XVIII, 1936. (١٥)
- Egypt Exploration Fund*, Archaeological Report 1900-1901. (١٦)
- بحيرة قارون وعلاقتها ببحيرة موديس ووادي الريان ، عاضرة على شافعى ، جمعية الهندسين الملكية بمصر سنة ١٩٢٧ . (١٧)
- BUTCHER, N.P.O., *Clear Overfull Weirs*, Calro, (١٨)
- Report of Technical Commission on Reservoirs, Govt. Press, Cairo, 1894. (١٩)
- FREEMAN, *Hydraulic Laboratory Practice*, Mac Graw Hill, New York. (٢٠)
- Sir FLINDERS PETRIE, *Hawara Biahmu and Arsinse*. (٢٢)
- الخطط التوفيقية ، تأليف على باشا مبارك ، طبع المطبعة الأميرية سنة ١٣٠٩ هجرية. (٢٣)
- LINANT DE BELLEFONDS Bey, *Mémoires sur les principaux travaux d'utilité publique exécutés en Egypte*, Arthur Bertrand, éditeur, Paris 1872-1873. (٢٤)

ملاحظة :

أشير إلى الكتاب برقه من هذا الجدول ثم بالصفحة ثم بالسطر . فتلا (٨ - ٢٤ - ١٤) تنى كتاب تاريخ الفيوم للنايلى ، صفحة ٢٤ ، سطر ١٤ .